جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

الآداب واللغة العربية

أدب قديم

رقم:..

إعداد الطالب:

أمينة بوعزي – بوعافية زهية

يوم:

القيم الإنسانية في قصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي

لجنة المناقشة:

العضو1	الرتبة	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
أجقو سامية	الرتبة	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا
العضو 3	الرتبة	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021-2022

الآية

"قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ"﴿٢٤٧ البقرة﴾

"خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الّذِي عَلّمَ بِالْقَلَمِ * عَلّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" «سورة العلق، الآيات 1 – 5.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إنَّ اللّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتّخَذَ النّاسُ رُؤُوسًا جُهّالًا، فسئلوا فأفتَوْا بغَيْر علْم فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (مَن تعلّم علمًا مما يبتغى به وجهُ الله عز وجل لا يتعلّمه إلا ليصيب به عرَضًا منَ الدُّنْيَا لَمْ يَجدْ عَرْفَ الجنَّة يَوْمَ الْقيَامَة

شكر وعرفان

نحمد الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي والذي ألهمنا الصحة والعافية والعزيمة،

فالحمد لله حمدا كثيرا،

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة (سامية آجقو) على كل ما قدمته لنا من توجيهات ومعلومات قيمه أسهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة

وكل من مد لنا يد العون من بعيد أو قريب ونشكر كل أساتذة وعمال قسم اللغة العربية وآدابها

مقدمة

يعرّف الشعر بأنه كلام موزون مقفى، يدل على معنى، فهو مرآة للحياة، يحمل داخله عديد الأهداف والمقاصد والأغراض كالوصف والفخر والهجاء والمدح والغزل والرثاء وهذا بدوره يعد فن من الفنون الشعرية الراقية لاشتماله على روعة الخيال وعمق الإحساس، ومطابقته للحقيقة والواقع، وكل هذا ممزوج بحرارة العاطفة فهذا الغرض هو وليد تجربة الحزن والأسى التي يعيشها الشاعر المبدع؛ فصدق المشاعر ونبلها جعله أشرف أغراض الشعر عند العرب قديما.

فالرثاء ضرب من الشعر الذي وظفه الفقهاء والأدباء للدعوة إلى الجهاد والكفاح، والبكاء على ما ضاع من أراضٍ وأشخاص، وعلى هذا الأساس أخذ غرض الرثاء اهتمامًا كبيرًا لدى الكتاب، حيث وجده المفكرون والمثقفون والمخلصون وسيلة للتعبير، "فأبو البقاء الرندي" من أدباء القرن السابع الذي شهد تهاوي المجد الأندلسي، وضياعها فتأثر كما تأثر معاصروه من الأدباء والشعراء في ذلك العصر؛ أي إن هذا الغرض تعود جذوره إلى حركة الاستغلاب التي قرصنت مدّها الصليبي على الدول الضعيفة، حيث جعله "الرندي" أداة للتعبير عن نكبة الأندلس وتصوير مآلها، فأفرد في كتابه "الوافي" بابًا يختص بالرثاء حيث قسمه إلى قسمين خاص أسري، رثى فيه المتوفين من الأقارب وقسم رثى فيه من اتصل بهم بسبب فإذا كان رثاء الأشخاص له هذه المنزلة الرفيعة فما بالك برثاء الدول والأوطان التي ازدهرت ونعم أهلها برغد العيش ثم خرِّبت ودمرت؟ كقصيدة "رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي" التي رثى فيها ما ضاع من بلاد الأندلس واستنجد من خلالها المسلمين ودعاهم للجهاد فهي قصيدة تحمل قيمًا دينية وإنسانية وجمالية؛ فالرثاء غرض ضروري للتعبير عن خلجات النفس وما تحمله من تأسف وتحسر واستنهاض للهمم وبكاءٍ على الوطن المسلوب. ونظرا لانجذابنا للموضوع وللقيم الدينية والإنسانية التي عالجها الشاعر في قصيدته "رثاء الأندلس" تم اختيارنا لهذا الموضوع، وللإجابة على بعض التساؤلات التي قد تتبادر إلى ذهن الباحث وتشكل في مجملها إشكالا محوريا للبحث نتساءل كيف اختار الشاعر القيم الإنسانية التي تطرق إليها في قصيدته رثاء الأندلس؟ وكيف يتم تصنيف هذه القيم؟.

وماهي القيم الجديدة في عصر أبي البقاء الرندي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات احتوت المادة العلمية لهذه الدراسة على مقدمة ومدخل وفصلين وملحق وخاتمة، حيث تطرقنا في المدخل إلى عدة مفاهيم فيما يخص القيم، وأهميتها.

بينما تناولنا في الفصل الأول المعنون ب: القيم الإنسانية في قصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي، تطرقنا بداية إلى القيم الدينية كالتدين والحرية والتعاون والجهاد وصلة الرحم والفناء والصبر والتقوى والرحمة، ثم تناولنا القيم الإنسانية العامة مثل حب الوطن وجوهر الأفراد والكرامة والتواضع والحزن والذل، ثم اتجهنا إلى القيم الإنسانية الاجتماعية فقسمت إلى فرعين ما يتعلق بالعلاقات الأسرية كالأمومة والأخوة، وما يتعلق بالعلاقات العامة كالإحساس بالمسؤولية.

أما الفصل الثاني فقد كان موسوما ب: (القيم الجمالية في قصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي) حيث تضمن هذا الفصل الحديث عن اللغة ثم الأسلوب باعتباره نسيجًا لغويًا للمتن الشعري.

وتطرقنا في ملحق إلى حياة أبي البقاء الرندي وآثاره وشعره وشيوخه الذين رسخوا علمه ونصَّعوا بيانه.

ثم في الأخير خاتمة تحوي أهم النتائج المتوصل إليها.

ونظرًا لطبيعة هذا الموضوع اتبعنا المنهج الوصفي بآلية التحليل لأنه المناسب لطبيعة هذا الموضوع أما المادة العلمية التي إتكأ عليها البحث فكثيرة ومتعددة حيث نجد في مقدمتها أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس للدكتور محمد رضوان الداية مصدرا رئيسًا له، وكذلك مراجع أهمها القيم في الظاهرة الاجتماعية لنادية محمود مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح وسمية عبد المحسن وماجدة إبراهيم، ونظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية للربيع ميمون، ولسان العرب لابن منظور جمال الدين ابن مكرم.

وبالرغم من الاعتماد على هذه المراجع القيمة إلاّ أن هناك صعوبات وعراقيل واجهتنا منها صعوبة فهم بعض المراجع، وكذلك غزارة المعلومات واختلافها من مرجع لآخر ينضاف إلى ذلك ضيق الوقت الذي حيَّز عناصر الموضوع.

إن هيكل البحث هو حصيلة تظافر جهود مختلفة فإنه من الجحود أن أغفل ذكر أولئك الذين قدموا يد العون والمساعدة وقاسمونا مشوار العناية بهذا البحث ويأتي على رأسهم الأستاذة الفاضلة "سامية آجقو" المشرفة عليه ولا أنسى جهود الأهل جميعا الذين لم يبخلوا علينا بمساعداتهم، وصبروا على ما بدر منا من انقطاع وتقلب وحدّة مزاج. فإليهم جميعًا فائق التقدير والاحترام، وما كان من تقصير فهو من أنفسنا فإننا نأمل أن نحظى بالمناسبة والجهد الكافي لاستدراكه، فالحمد لله وحده على ما أنعم علينا من توفيق وتوجيه وتيسير في هذا البحث.

فسبحان الله الذي ليس لكلامه تبديل المنزه عن كل تعديل وصلَّى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مدخل:

ماهية القيمة وأبعادها الفنية في المتن الشعري

المدخل:

1- ماهية القيمة:

جاء في معجم الوسيط بأن قيمة الشيء قدره أي مكانته، بينما قيمة المتاع ثمنه وسعره.[1]

أ- لغة:

القيمة واحدة القيم، وتدل على معان متعددة، فمن معانيها:

القدر: يقال: قيمة الشيء قدر، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، ووردت القيمة بمعنى الثبات والدوام على الأمر، يقال: ما لفلان قيمة، أي ما له ثبات ودوام على الأمر.[2]

فكلمة قيمة valeur تدل على اسم النوع من الفعل "قام" أي وقف وانتصب واستوى[3]

فالقيمة عند اللغويين تدل على المعنى الصحيح للألفاظ حسب الاستعمال المألوف المعتاد، فهم يحكمون على الإنسان بأنه لا يعرف قيمة الكلمات إذا استخدمها في مجال يخرجها ويبعدها عن المعنى الحقيقي.

ب- اصطلاحا:

إضافة إلى المعنى اللغوي للكلمة فقد وردت القيم بعدة مفاهيم في القرآن وهي تحوي عنصرا مهما يتعلق بقيمة معينة أو مفهوم تأسيسي يتعلق بعالم المسلمين، يقول سبحانه وتعالى:" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّه التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلكَ الدِّين القَيّم وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ"[4] بمعنى الدين الثابت الذي لا يتغير والدين المستقيم الذي لا يعتريه العوج والميل، أي دين مستقيم لا زيغ فيه.

وقوله أيضا:" وَذَلكَ دينُ الْقَيّمَة"[5]بمعنى دين العدل والقسط والاستقامة.

---

[1] ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، 1425ه-2004م، ص768

[2] نادية محمود مصطفى وآخرون، القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار النشر للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة الأولى، 2011، ص415

[3] ينظر:د. الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، ص27، 29

[4] سورة الروم، الآية:30

[5] سورة البينة، الآية:5

والقيم أيضا مرتبطة بداخل الإنسان والتي تبنى عليها علاقاته وقوته ووظيفته.

وقد عرف زكي نجيب محمود القيم بقوله: " تقوم في نفس الإنسان بالدور الذي يقوم به الربان في السفينة، يجريها ويرسيها عن قصد مرسوم وإلى هدف معلوم، ففهم الإنسان عن حقيقته هو فهم القيم التي تمسك بزمامه وتوجهه."[1]

أي إن القيم من وجهة نظره هي بمثابة المحرك الذي يتحكم في سلوك الفرد، وهي التي توجهه وتسيره، فالقيم تتمثل جليا في كل شيء وتعمل على تهذيبه، كما تعد معيارا للحكم على ما يؤمن به مجتمع من المجتمعات من عقائد وغيرها، حيث ينعكس ذلك في سلوك أفراده، فتكون القيم بمثابة معيار لتحديد نوعية السلوك المكتسب هل هو سلوك إيجابي فعال؟ أم سلوك سلبي؟ يقول سيف الدين عبد الفتاح: "أحب أن أصفها بأنها كالماء الساري، فالقيم تسري في كل شيء: في سلوكه وفي عقله وفي بنيته المعرفية"[2]

وبذلك يمكننا القول بأن القيم هي التي تضبط وتوجه السلوك الإنساني فهي تعد معايير للحكم على السلوك الفردي والاجتماعي في الحياة.

فالقيم تقوم على احترام كرامة الإنسان وحريته وحرماته وحقوقه، والحفاظ على دمه وعرضه وماله وحتى عقله، فالإنسان والشيء الذي ليس له قيمة لا يدوم ولا يثبت.

وبالرغم من كثرة التعريفات واختلافها حول القيمة إلا أن لا أحد ينكر أهميتها ودورها الفعال سواء أكان على الفرد أم المجتمع، فهي عامل أساسي في تشكيل سلوك الإنسان إذ تعد جوهر الكيان الإنساني والركيزة الأساسية لبناء شخصية إنسانية حقيقية؛ فبالقيم يصبح الإنسان إنسانا وبدونها يفقد إنسانيته حيث تعمل القيم على تهذيب النفس البشرية وغرائزها وشهواتها التي تؤثر على سلوك الإنسان وتؤدي إلى فساده فهي تلعب بذلك دور الرقيب، وتعتبر القيم وسيلة لحفظ المجتمعات من الزوال وبذلك تسهم في استمراريته، وبقائه، فلكل مجتمع معايير خاصة تحدد طبيعة العلاقة التي تربط الأفراد في ما بينهم، فعلى الإنسان أن يسعى إلى تبني القيم الفاضلة حيث تؤدي إلى انتشار الطاقة

[1] صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1986، ص4.

[2] نادية محمود مصطفى وآخرون، القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار النشر للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة الأولى، 2011، ص47

الإيجابية الفاعلة على عكس القيم الفاسدة [1]التي حذرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه عن اتباعها وابتداعها وتبنيها يقول تعالى:" وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوع بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"[2]

تختلف المجتمعات عن بعضها في ثقافتها ومعايير قيمها فلكل مجتمع قيم ينفرد بها عن غيره، وهذه القيم هي التي تحفظ للمجتمع هويته وتميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، فالقيم تحتل أهمية بالغة داخل المجتمع، فهي الأساس أو الركيزة الأساسية في بناء مجتمع نظيف نقي خال من السلوكيات السلبية رغم انفتاحه واحتكاكه بالمجتمعات الأخرى.[3]

فالقيم تشكل البنية العميقة لأي مجتمع، وتحفظ هويته وشخصيته الثقافية والاجتماعية، وتقف جدارا منيعا أمام رياح التغيير التي تعصف بهذه القيم وتحاول تهميشها واقتلاعها من جذورها وعمقها التاريخي.

2- القيم الجديدة في عصر أبي البقاء الرندي

لقد كانت الأندلس في أواخر القرن السادس الهجري تحت ظل الموحدين ، حيث كانت مدينة اشبيلية بمثابة القاعدة للدولة، كما كانت الحرب الجهادية دائمة بينهم وبين الدول الاسبانية وهي خمس دول قشتالة وليون، وأرغون، ونافار والبرتغال ثم اختفت دولتان ولم تبق إلا قشتالة وأرغون والبرتغال.وكانت هذه الدول مستمرة في الحرب.

وآخر معركة كانت لصالح المسلمين هي وقعة الأراك بقيادة "أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي" ضد " ألفونسو الثامن" ملك قشتالة وهو صاحب النصر في معركة العقاب التي جرَّ هزيمة نكراء وشنيعة للمسلمين و كانت سببا في تراجع الحكم الإسلامي في الأندلس وهذا راجع إلى ضعف الدولة الموحدية وانقسام خلفائها إلى سادة وأشياخ، إضافة إلى كثرة المتآمرين من الموحدين داخل المغرب والأندلس، وظهور دول أقل قوة

---

[1] ينظر: أحلام عتيق مغلي السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الثالث، العدد الثاني، 2019م، يناير، ص86

[2] سورة النحل، الآية:112

[3]ينظر: أحلام عتيق مغلي السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، ص87.

من دولتي المرابطين والموحدين في المغرب، وهم دولة بني مرين في المغرب الأقصى ودولة الحفصيين في المغرب الأدنى، ودولة بني زيان في المغرب الأوسط، وضياع القواعد الأندلسية نظرا لتوالي خسارة الأندلس في جهاداتها، استقرار الحكم في يد ملوك الدول الإسبانية المجاورة وعزمهم على استغلاب الأندلس إضافة إلى أن المغرب والأندلس عانت من قلة عدد السكان بسبب انتشار الحروب بكثرة والأوبئة والطواعين التي باتت منجلا يحصد أرواح البشر.[1]

ونتيجة لهذه الحروب التي نشبت بين المسلمين وأعدائهم الإسبان ظهر نوع من الشعر والذي كان عبارة عن وسيلة مباشرة وغير مباشرة لما يحدث بينهم ، وقد ظهر هذا الضرب من الشعر لتصوير نكبة الأندلسيين، لفقدانهم جزء من أرضهم، وأيضا للحث على الجهاد والتحريض للمقاومة والصمود والقتال[2] فالمتن الشعري انفتح بصدره وعجزه ليستوعب هذا الطارئ الذي عكس أحوال البلاد والعباد،إنه النمط الشعري الذي صوّر النكبات ووصف الأطلال وبكى الأبطال ورثاهم.

فالهدف من هذا النمط الشعري هو دعوة المسلمين للقتال والوقوف في وجه العدو ولإنقاذ الأندلس، وتعود جذور هذا النوع من الشعر إلى الحركة الاستغلابية إلا أنه ظهر وبرز من جديد في القرن الخامس الهجري حيث وجد المثقفون والمفكرون _ من سكان الأندلس_ أنفسهم في موقف المسؤولية فاتجه علماء الأندلس وفقهاؤها وأدباؤها إلى تكوين حملة مضادة لتحذير الأندلسيين وحثهم على الجهاد محاولين طرد التخاذل بين أهل الأندلس وتحريضهم على حمل السلاح للدفاع على ما بقي من أرضهم واسترداد ما أخذ منهم.

وقد سار هذا الضرب من الشعر في اتجاهين فكان يدعو للكفاح والجهاد دون توقف من جهة ومن جهة أخرى البكاء على ما ضاع من أراضي المسلمين. فتأثر الشعراء في ذلك العصر بالبيئة والظروف التي كانت تحيط بهم فتناول شعرهم مجموعة قيم كانت سائدة على صفحة أشعارهم تطبع بميسمها صبغة ذلك العصر وظروفه السياسية

[1] ينظر: محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مكتبة سعد الدين، بيروت، الطبعة الأولى، 1396-1976، ص18، 17، 16، 15، 14

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص84

والتاريخية والفنية كالظلم وحب الوطن والحزن على المفقود، الذل والعبودية وكلها مجتمعة ترسم معالم تلك القيم السائدة.

ومن بين الأسباب التي أدت إلى نشاط هذا الغرض تقلص أراضي الأندلس وإحساس الأندلسيين بالضعف والاختناق والضيق، مشاهد القسوة والظلم والعدوان التي كانت تطبق على الناس. والارتباط الوثيق والمتين بين الأندلسيين وأرضهم الذي أدى إلى إشعال الشعور بالواجب الجهادي اتجاه أرضهم[1] وهي اليد الفاعلة التي حركت كوامن الشعراء وحرضتهم على استنهاض الهمم وشحذ القيم، وهو النمط الشعري الذي ظهر في هذه الفترة وحفظ خصوصيتها الفنية والقيمية.

[1] محمد رضوان الداتية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص85، 84

الفصل الأول:

القيم الإنسانية في قصيدة رثاء الأندلس

"لأبي البقاء الرندي"

يعيش الإنسان في ظل مجتمع له قيمه وأعرافه التي تنظم علاقات أفراده، وتحفظ خصوصيته وبنيته العميقة ومنها:

1. القيم الدينية:

لقد بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأن يأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم الذي يدخلهم إلى الجنة وينجيهم من النار، غير أن هذه الغاية الغاية لا تتحقق إلا إذا توفرت الأخلاق الحسنة والقيم الجيدة يقول عليه أفضل الصلاة والسلام "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1]

تتجلى في قصيدة "رثاء الأندلس" عديد من القيم الدينية لأن مقام حالها يتحدث عن حرب بين المسلمين والمسيحيين لذلك ذكر الشاعر بعض القيم الدينية التي تلوح بقيمها النبيلة في ثنايا القصيدة ومنها:

أ- التدين: يعتبر التدين واحدا من القيم التي تناولها أبي البقاء الرندي في قصيدته وطاف بها في إبداعه وهي مبثوثة في ثنايا متنه الشعري.

التدين مأخوذ من بناء (تَفَعّلَ) مثل: تشجع وتكرم أي تكلف الشجاعة والكرم والمراد بالتكلف الدلالة على أن الفاعل يعاني الفعل ليحصل له بالمعاناة أصل الفعل أو القول كما يذكر ابن قتيبة: "... إدخالك نفسك في أمر حتى تضاف إليه أو تصير من أهله...".[2]

ويقول الله تعالى في سورة الإسراء "إنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدي لِلَتِي هِيَ أَقْوَمُ" [3] (الإسراء:9).

ويقول أيضا: "وَذَلِكَ الْقَيّمَة"[4](البينة:5).

ويقول أيضا: " دِينًا قيَمًا"[5].

الدين والشريعة ومنظومة القيم: "القيم سارية في كيان هذه الشريعة مسرى الماء في الورد"، فهي التي تعطيه الحياة وتؤدي إلى فاعلية المجتمع.[6]

---

[1] محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، 1997/1418، ص118

[2] أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكتاب، دار الكتاب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1408ه/1988م، ص466

[3] الإسراء، الآية: 9

[4] البينة، الآية:5

[5] الأنعام، آية:161

[6] نادية محمود مصطفى: القيم في الظاهرة الاجتماعية، ص57

ولجأ البناء كلمة التدين في دلالات أخرى ومنه قول حاتم الطائي:

تحمّل عن الأدنّين واستبق وُدّهُمْ

فَلضنْ تَستَطِيع الحُلْمَ حَتَّى تَحَلّمَا.[1]

ومن دلالة هذا البناء قول العجّاج:

وإنِّي دَعَوْتُ مِنْ تَمِيمٍ أرؤسًا

وقيس عَيلان ومن تقَيَّسا.[2]

قيمة التدين من أهم القيم التي عالجها الرندي في قصيدته فيقول:

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أزْمَانُ [3]

فهنا اقتباس أبو البقاء الرندي من سورة آل عمران في قول الله تعالى: "وَتِلْكَ الأيَّام نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"[4](آل عمران: 140).

ويقول في قصيدته :

هَذِهِ الدَّارُ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَــدٍ ولاَ يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ.

وأَيْنَ حَمْرَاؤُهَا الْعَلْيَا وزُخْرُفُهَا كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَانُ

وكَمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مَنْزَهٍ فَــرِجٍ وجَنَّةٍ حَوْلَهَا نَهْــــرٌ وبُسْتَانُ [5]

ومن خلال هذا الكلام يظهر أن الرندي يستند في تحليله للنصوص القرآنية على مناهج البحث البلاغي من ناحية والتركيب النحوي من ناحية أخرى محاولا الوصول إلى أقصى درجة من الفنية من خلال استنصاصه من النص القرآني في قوله تعالى" إنَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَات لَهُمْ جَنَّات تَجْري منْ تَحْتهَا الأَنْهَارُ ذَلكَ الْفَوْزُ الكَبيرُ"[6] (البروج:11).

ويواصل أبي البقاء الرندي في استخدام العبارات الدينية في قصيدته الشهيرة فيقول:

---

[1] ديوان حاتم الطائي، شرحه وقدم له أحمد راشد، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1423ه/2002م، ص44

[2] ديوان العجاج بشرح عبد المالك بن قريب الأصمعي، دار الشرق العربي، 1416ه/1995م، ص210

[3] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"الأندلس، ص30

[4] سورة ال عمران، الآية: 140

[5] عيسى بن محمد الشامي، :رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"الأندلس، ص30-32

[6] سورة البروج، الآية:11

وواديًا منْ غدَتْ بالكفر عَامـرَةٌ ورَدٌ تَوْجيدَهَا شـــــــرْكٌ وطُغْيَانُ
كَذَا المَرِيَّةُ دَارُ الصَّالِحِينَ فَكَـمْ قُطْبٍ بِهَا عَلَمٌ بَحْرٌ لَهُ شَـــــانُ
عَلَى دِيَارِ مِـــنَ الإِسْلاَمِ خَالِيَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْ ولَهَا بِالكُفْرِ عُمْـــرَانُ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَـــــدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ مَا فِيهِنَّ إلاَّ نَوَاقيسُ وَصُلْبَانُ
مَاذَا التَّقَاطُـعُ فِي الإِسْلاَمِ بَيْنَكُمُ وأَنْتُمُ يَا عِبَـــــــادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قُسِّمُـوا فِرَقًا سَطَا عَلَيْهِم كُفْرٌ وطُـــــــغْيَانُ
بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ واليَوْمَ هُمْ فِي بِـــــلاَدِ الكُفْرِ عَبْدَانُ
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ القَلْبُ من كَمَـدٍ إِنْ كَان فِي القَلْـــــبِ إِسْلاَم وإِيمَانُ
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ مَا هَبَّ رِيحُ الصَـبَّا واهْتَزَّ أَغْصَانُ[1]

استخدم الشاعر هنا كلمة "الكفر" في هذه الأبيات بكثرة، فهي تعبير مجازي يصف فيه العدو وجاءت معبرة عن الأسى والحزن بسبب ما حل بالأندلس وتلك الألفاظ استقاها من القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسه ومَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبي غَنيٌّ كَريمٌ﴾[2] .

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْه كُفْرُهُ﴾[3]

وقد كرَّر الشاعر هذه اللفظة في سياق ديني يعزّز القيمة الدينية التي تعلي من شأن الإسلام وتصف الصليبيين في كفرهم وطغيانهم.

ب- الفناء: "مصدر فنى يفنى إذا اضمحل وتلاشى وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه."[4]

فالفناء هو التلاشي والانعدام والزوال، حيث أن كل شيء يفنى ويتلاشى ويزول ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. فقد أشار أبو البقاء الرندي في قصيدته "رثاء الأندلس" إلى أن مصير كل شيء هو الزوال والانعدام والتلاشي والاندثار وكلها مجتمعة

[1] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"، ص32-33

[2] سورة النمل، الآية:40

[3] سورة الروم، الآية: 44

[4] عبد الباري محمد داود، الفناء عند صوفية المسلمين والعقائد الأخرى دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (د.ط)، ص151

ترسم حقلها الدلالي في النص الشعري، فدوام الحال من المحال. حيث قال في بداية قصيدته:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إنسان
هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ولاَ يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّات وخُرْصَانُ
وينتصي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أَيْنَ المُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَينَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَم وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ[1]
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وشَدَّادٌ وقَحْطَانُ
أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ حَتَى قَضُوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا[2]

فالشاعر في مطلع قصيدته أقر بمبدأ الزوال أو يمكن القول بقيمة مهمة وهي أن كل شيء فان وزائل، فجميع الموجودات مصيرها الزوال والاضمحلال والانتهاء، فبداية قصيدته كانت عبارة عن نصيحة من الكاتب بأن على الإنسان أن لا يغتر برغد العش فالأشياء مهما اكتملت تبقى ناقصة. وأن الزمان ينقلب من حال إلى حال،فهذه الدنيا لا يدوم لها مآل ولا مقام، فكل شيء مصيره الفناء والزوال.

مستدلا بأمثلة من الواقع كقصر ذي يزن. والملوك أصحاب الجاه والسلطة، أمثال شداد والذي هو ملك في إرم ويقال أنها الإسكندرية ودمشق، حيث إنه وجد حجرًا بالإسكندرية نقش عليه " أنا شداد بن عاد الذي نصب العماد"[3] ورغم متانة الملك والجاه كان مصيره وممتلكاته التلاشي والانعدام والفناء مع مرور الزمن، وساسان أيضا وهو أبو طائفة عظيمة من ملوك الفرس. وقارون كذلك رغم أنه رجل غني ذو مال إلا أن نهايته كانت الزوال، فالفناء حقيقة أزلية خالدة ويقين أشار إليه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم يقول تعالى" كُلُ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ والإِكْرَامِ(27)"[4]

[1] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص144/143

[2] المصدر نفسه، ص144

[3] المصدر نفسه، ص144

[4] سورة الرحمن، الآية (26) (27)

فأبيات القصيدة تتطابق مع قوله سبحانه وتعالى، بأن كل شيء فان وزائل ولا يبقى إلا وجهه سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام.

ت- التقوى: وفحواها

"التزام حدود الله فلا بغى ولا إسراف، ورعاية حرمة الدماء والأعراض والكرامة الإنسانية، فالاغتيال بغير مواجهة، ولا تمثيل بجثة قتيل ولا إهدار لدم أسير. وعدم المعاملة بالمثل في انتهاك الحرمات..."[1]

فالإسلام يقيد الحرب بقوانين أخلاقية كالعدل والتقوى والتي تعني التزام حدود الله تعالى، والعمل داخل هذه الحدود وعدم تجاوزها، فلا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، حيث إن الإنسان أثناء الحرب عليه رعاية حرمة الدماء والأعرض، ومراعاة كرامة الإنسان فلا يهان ولا يذل، ولا يقتل أحد بغير حق أو مواجهة، غير أن قصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي بيَّن من خلالها كيف كانت تنتهك حرمة الدماء والأعراض، وكيف كان العدو يهين كرامة أهل الأندلس، ويعذب أسراهم.

يقول الشاعر أبو البقاء الرندي:

كَمْ يَسْتَغِيثُ بَنُو الْمُسْتَضْعَفِينَ وَهُمْ أَسْرَى وَقَتْلَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ[2]

ويقول أيضا:

يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمْ أَحَالَ حَالُهُمْ كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلاَدِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لاَ دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمُ لَهَالَكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا كَمَا تَفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ
وَطِفْلَةٍ مَا رَأَتْهَا الشَّمْسُ إِذَا بَرَزَتْ كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةٌ وَالْعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ[3]

[1] محمد كامل حتة، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، ص228/227

[2] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص147

[3] المصدر نفسه، ص148

فالإسلام ينهى عن قتل الأسير وتعذيبه واسترقاقه، بل يفرض حمايته ورعايته، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: "استوصوا بالأسارى خيرا"[1]

إلا أن القصيدة بينت كيف كان يعذب الأسير ويقتل ويباع ليصبح عبدًا لدى الكفار. وكيف تحولوا من أعز الناس إلى أرذلهم، وكيف أصبحوا عبيدا بعد أن كانوا ملوكا وأسيادًا في ديارهم. فمن خلال أبيات القصيدة يتبين لنا أيضا كيف كانت تنتهك أعراض نساء الأندلس مجبرات ومكرهات على ذلك، فالأعداء انتهكوا حرمة الإسلام والمسلمين حيث المساجد أصبحت كنائسًا فيها نواقيس وصلبان ترثيها المحارب والمنابر. يقول "أبو البقاء الرندي":

حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَـــــــارَتْ كَنَائِسَ مَا فِيهِنَّ إِلاَّ نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْثِي وَهِيَ عِيـــــدَان[2]

فالإسلام عزّز المرأة وأمر المسلمين بالرفق بها ورعايتها واحترامها، وجعل لها مكانة عالية ونهى عن الإساءة أو التعرض لها بالمكروه وحث على جبر خاطرها.

ث- الرحمة: جاء في معجم الوسيط أن " الرحمة الخير والنعمة"[3]

"والرحمة: هي إرادة إيصال الخير"[4] وقد عرفها الجوزي بأنها "النعمة على المحتاج"[5] أي إن الرحمة هي العطف على المحتاج، والرحمة من وجهة نظر الرسول صلى الله عليه وسلم تشمل جميع المخلوقات من بشر وحيوانات أيضًا، والرحمة لدى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام خرجت من إطار المسلمين لتشمل غير المسلمين، فالمسلم يحب الرحمة ويوصي بها وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[6]

---

[1] محمد كامل حته، القيم الدينية والمجتمع، ص230

[2] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص146.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص335.

[4] العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، 813ه/1413م، ص95.

[5] أنور محمود المرسي خطاب، الرحمة في القرآن الكريم، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، ص282

[6] أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، دار كتاب الحديث، الجزائر، الطبعة الأولى، ص158.

أي إن المؤمنين إخوة في الله، وعلاقتهم قائمة على أساس الرحمة والعطف والمودة، وأن لا يؤثر فيهم أي خلاف، وأي مصيبة تقع على المؤمن يقف إلى جانبه أخوه المسلم ويعينه عليها. وهذا ما يدعونا إليه الدين الإسلامي.

غير أننا في قصيدة "أبي البقاء الرندي" التي يرثي فيها الأندلس لا تقف عند أي صورة من صور الرحمة أو أثر من آثارها. حيث إن الشاعر كان يستغيث ببني مرين ويطلب المساعدة للضعفاء، ويدعو إلى مواساة حزن أهل الأندلس يقول:

كَمْ يَسْتَغِيثُ بَنُو الْمُسْتَضْعَفِينَ وَهُمْ أَسْرِى وَقَتْلَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ

مَاَذا التَّقَاطُعُ فِي الإِسْلاَمِ بَيْنَكُـــمْ وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ اللهِ إِخْـــوَانُ؟[1]

ويقول أيضا:

وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهُـــــمُ لَهَالَكَ الأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ[2]

فالشاعر كان يدعو المسلمين إلى أن يعطفوا ويرحموا، ويساندوا بعضهم بعضا، فالرحمة من صفات الرحمن، لكن الشاعر لا يرى لها أثرا في قلوب المسلمين وهم يرون الأندلس تستغيث وتطلب الأمان يقول عليه الصلاة والسلام " لا تنزع الرحمة إلا من شقي"[3]

وإن دل على شيء فهو يدل على قسوة القلوب وانتزاع بوادر الرحمة منها.

يروي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار، وقيل لها: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض"[4]

فماذا إذا كان الذي يستغيث إنسان مسلم. ولا أحد يلبي النداء. أو يرحم ضعف أهل الأندلس وقلة حيلتهم. وكأن قلوب المسلمين كالحجارة أو أشد قسوة منها خالية من الرحمة واللين والرأفة.

---

[1] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص147.

[2] المصدر نفسه، ص148.

[3] أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، ص158.

[4] المرجع نفسه، ص159.

ج-الصبر:

لغة:" الحبس والمنع، وهو ضد الجزع، ويقال: صبرًا صبرًا: تجلَّد ولم يجزع وصبر: انتظر، وصبر نفسه: حبسها وضبطها، وصبر فلانًا: حبسه، وصبرت صبرًا: حبست النفس عن الجوع، وسمي الصوم صبرًا لما فيه من حبس النفس عن الطعام، والشراب، والنكاح"[1]

أي إن الصبر هو حبس النفس عن الجزع، ويعرف أيضًا بأنه:" حبس النفس على ما تكره، أو احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم"[2]

أي فالصبر يمكن الإنسان من ضبط نفسه، ويؤهله لتحمل المصاعب والآلام والمشاق، وهذا ما ينطبق على أهل الأندلس الذين صبروا على الأعداء الإسبان في محاولاتهم الحثيثة لتشويه الإسلام بتحويلهم المساجد إلى كنائس، وصبر أهل الأندلس على الأذى والعذاب،تحت سياط الأسر والتعذيب، وصبر أهاليهم على فقدانهم، وتحملهم تراجع منزلتهم من ملوك إلى عبيد وجلدِهِم على الذل والإهانة. ومن مظاهر الصبر أيضا صبر الأم على فراق طفلها وهي من أعظم درجات الصبر. فمعظم أبيات القصيدة تدل على صبر وتحمل أهل الأندلس فقدانهم أرضهم أولا، وصبرهم على ظلم الأعداء الإسبان وعلى الأذى الذي ألحقوه بهم، فالمؤمن يصبر على الأذى حيث كان بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقولون: " ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانًا إذا لم يصبر على الأذى"[3]

فأهل الأندلس صبروا على العذاب الذي ألحق بهم من طرف الإسبان من قتل وتعذيب وأسر نظرًا لقوة إيمانهم بالله وبأن الله سيجازيهم على صبرهم وتحملهم، وان الصبر قريب، وأن فرجه آت، فما بعد الضيق إلا السعة، ومع العسر يسرًا، فالله وعد الصابرين والله تعالى لا يخلف الميعاد يقول تعالى:﴿ واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[4]

---

[1] سعيد بن علي بن وهف القحطاني، أنواع الصبر ومجالاته مفهوم، وأهمية، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، ص4

[2] أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، ص145.

[3] المرجع نفسه، ص147.

[4] سورة الطور، الآية 48.

ح- الحرية:

مفهوم الحرية مفهوم قرآني أصيل تناوله القرآن المجيد بما يزيد عن مائتي آية من آيات القرآن الكريم وأصّل له بشكل دقيق وكرسه قيمة من القيم العليا وقد تناولت بعض الآيات معالم هذه الحرية وطرق ممارساتها وضوابطها بشكل كان له أثره في تصوير القرآن الكريم للإنسان ، وبناء الرؤية القرآنية له.

فيقول تعالى:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[1]وقال الله أيضا:" لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[2] هذه الآيات القرآنية تحديث عن الحرية وحث الدين الإسلامي على ضرورة نشر مبادئ الحرية والتعبير عن الرأي وعدم إجبار الناس على اعتناق فكر محدد أو دين معين إلا عن اقتناع تام بكل ما يقوم به.

ثم جاء في الحديث الشريف الذي عرف "حديث السفينة" ليعالج ما قد يكون من انحراف في إطار الحرية وممارستها وتفعيلها في الواقع والحديث هو ما رواه البخاريُّ والترمذيُّ وأحمد وغيرهم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما- عن النبي- صلى الله عليه وسلم لأنه قال:" مَثَلُ الْقَائم عَلَى حدُود اللَّه وَ الْوَاقع فيهَا كَمثَل قَوْم اسْتَهموا عَلَى سفينَة، فأصَابَ الذينَ في أَسْفَلهَا إذَا اسْتَقُوا منَ الْمَاء مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبنَا خَرْقًا، وَ لَمْ نُؤْذ مَنْ فَوْقَنَا، فَإنْ يَتْرُكُوهُمْ ومَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَميعًا، وَ إنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْديهمْ نَجَوْا وَ نَجَوْا جَميعًا"[3]

وهنا الرسول صلى الله عليه وسلم قال على دين الله وترك المحرم والواقع في حدود الله أي الفاعل للمحرم، أو التارك للواجب كمثل قوم استهموا أعلى على سفينة يعني ضربوا سهما، وهو ما يسمى بالقرعة. وأشار الحديث أيضا إلى الحرية في العبادة في ظل حدود الله.

---

[1] سورة يونس: الآية99

[2] سورة البقرة: الآية، 256

[3] نادية محمود مصطفى، القيم في الظاهرة الاجتماعية، ص127، 128.

واعتبرت الحرية البؤرة الدلالية في القصيدة، فهي الهدف النبيل والغاية المقصودة، فقد حث الأندلسيين على درب التضحية من أجل الحرية، فهي الراية التي تحقق لهم الكرامة وتلبسهم لباس العزة والإباء، ولا يتحقق هذا المسعى إلا بالقوة والجهاد في سبيل الله.

ويؤكد أن الإنسان قد زود بقوى الوعي ليكون قادرا مسؤولا حرا ذا إرادة ومشيئة له عقل يفك ويدبّر، فإذا انتقصت حرية الإنسان تقلصت مسؤولياته بقدر ما نقص من حريته. فيقول شاعرنا في قصيدته عن الحرية:

دارَ الزَّمَانِ على دَارَا وقَاتِلِــهِ وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آواهُ إِيـــــوَانُ
وأَيْنَ غَرْنَاطَةٌ دَارُ الْجهَاد وكَمْ أُسْدٍ بِهَا وهُمْ فِي الْحَرْب عُقْبَــانُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَـــــاءُ رَايَتُهُ أدْرِكْ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْر لاَ كَانُوا
يَا رَاكبِيْنَ عتَاقَ الخَيْل ضَامرَةً كَأَنَّهَا فِي مَجَال السَّبْق عِقْبَـــانُ
وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهنْدِ مُــرْهَفَةً كَأَنَّهَا فِي ظَلاَمِ النَّقْعِ نِيْـــــرَانُ
هَلْ للْجِهَاد بِهِا منْ طَالِــبٍ فَلَقَدْ تَزَخْرَفَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لَهَا شَــانُ[1]

ويتجسد في الشاعر الارتباط الشديد بالأندلس فهو ينادي الملوك والشعب ويحثهم على الجهاد من أجل استرجاع حريتهم، فهو متأثر بحال الأندلس يبث فيهم روح المسؤولية لاسترجاع حريتهم لأن للحرية باب لا يطرق إلا بالأيادي المخضبة بالدماء.

خ- التعاون:

من الأمور التي لا يتنازع حولها أو يختلف فيها اثنان أمر التعاون والتعاضد في هذه الحياة الدنيا،إذ فالإنسان مفطور على حب التعاون، بل لا تستقيم حياته في كل جوانبها إلا بالتعاون، وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه كان عليه تحقيق التعاون من أجل سد جوعته الفطرية.

والتعاون ينبغي أن يصب بكل قنواته المتدفقة في بحر الدعوة الإسلامية والنهوض بها وتبليغها للناس أجمعين، إذ بالتعاون المبني على أساس من الوحي نجد الطريق الصحيح لتحقيق دعوة قوية فاعلة واضحة المعالم، راسخة القواعد، لا تهتز ولا تتزلزل.

[1] عيسى بن محمد الشامي: "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي، ص32، 30

التعاون هو:

العون: الظهير على الأمر الواحد والاثنان، والجمع والمؤنث سواء،

وتعاونًا: أعان بعضًا بعضًا، والمعونة: الإعانة، ورجل معوان: حسن المعونة، ورجل معوان: كثير المعاونة للناس.

العون معناه التساعد، وأن يعين بعضهم بعضا على البر والتقوى.

العون: المعاونة والمظاهرة، يقال: فلان عوني أي معيني، وقد أعنته[1]، قال الله تعالى: " فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ"[2]، " وأَعَانَهُ عَلَيْه قَوْمٌ آخَرُونَ"[3] والتعاون: التظاهر، قال تعالى:" وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى و لاَ تَعَاوَنوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ"[4] والاستعانة طلب العون وقال: "واسْتَعِينُوا بالصَّبْر والصَّلاَة"[5]

يتضح من خلال ما سبق أن التعاون يحمل معاني التساعد والتكافل والتعاضد، ومعنى الاجتماع على إقامة عمل، فتارة يكون من الفرد تجاه المجموعة وتارة يكون من المجموعة تجاه الفرد، مما يكون محصلته التعاون بين أبناء المجتمع الواحد.

ولكن هذا التعاون المتبادل لا يقتصر على أمور الدين بل يشمل التعاون على أمور الدنيا، وعلى تنفيذ حدود الله.

ويقول الراغب الأصفهاني: أعلم أنه لما صعب على كل واحد أن يحصل لنفسه أنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة رجال له فلقمة طعام لو عددنا تعب محصليها من الزراع والطحان والخباز وصناع آلاتها لصعب حصره واحتاج الناس أن يجتمعوا فرقة فيتظاهروا، ولأجل ذلك قيل الإنسان مدني بالطبع أي لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم إلى بعض في مصالح الدين والدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضًا" وقال أيضا" مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا تألم بعضه

---

[1] عبد الله بن سليم القرشي: التعاون وأثره في التغيير، دار القاسم، ص6

[2] سورة الكهف، الآية90

[3] سورة الفرقان، الآية4

[4] سورة المائدة، الآية2

[5] سورة البقرة، الآية45

تداعى سائره"[1] والقول هنا أن الناس كحشد واحد، متى تعاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل.

دعا الشاعر الشعب الأندلسي والملوك للتعاون فيما بينهم للتخلص من العدو الغاضب الذي دمر الأندلس، التي كانت قبلة للثقافة ومنبرا للشعراء ومركزا للديانات. فيقول:

وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ يَحْكِي فِي تَسَلْسُلِهِ سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَمَعَانُ
أَلاَ نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَـــــــمٌ أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قُسِّمُوا فِــرَقًا سَطَا عَلَيْهِمْ بِهَا كُفْــرٌ وَطُغْيَانُ[2]

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات على تعاون أفراد الشعب فيما بينهم للنصرة على العدو وبتر أذيال الخنوع. وقطع دابر التشتت والانقسام فهم على الخير يجتمعون وعلى نصرة الحق يجتهدون ويجاهدون؛ وفي هذا المقام اعتلى الشاعر منبر الدعوة والحث على الجهاد واستدعى سيوف هند في لمعانها لتصتنصص من تاريخ الشعر العربي بطولة شعب إذا أراد الحياة استجاب له القدر وفي قول الشاعر عمر بن كلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَــا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيـــــنَا
بِأَنّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا وَنُصْدِرُهُنَّ خُمْرًا قَدْ رُوِينَا

د- الجهاد:

يعتبر الجهاد دعامة رئيسة وقاعدة أساسية من قواعد الإسلام، وهو عماده، والطريق المستقيم لحماية ديار المسلمين ونصرة المضطهدين في الدين، وهو الدرع المتين الذي كفل حرية نشر الدعوة إلى الله إذا ما اعترضت سبيلها أسلحة المعتدين، ولهذا أمر الله وحث المؤمنين عليه، مع ما يترتب عنه من قتل الأنفس وإزهاق الأرواح وإتلاف الأموال والممتلكات ، لأن المحافظة على الدين مقحمة على الحفاظ على ما سواها من الأنفس والأموال.[3]

ومن هذا المنطلق رغَّب الله عز وجل عباده المؤمنين في الجهاد في سبيله، وحثهم عليه، وأمرهم به، ووعد المجاهدين في سبيله جنات عرضها السموات والأرض، قال

[1] ينظر: عبد الله بن سليم القرشي: التعاون وأثره في التغير ص10، 9
[2] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس"لأبي البقاء الرندي" ص32، 30
[3] عبد اله بن المبارك: الجهاد، دار المطبوعات الحديثة، السعودية، ص39

سبحانه وتعالى:" غنَّ اللَّهَ اشْتَرَى من المؤْمنين أنفُسَهُمْ وأَمِوَالَهُمْ بأنَّ لَهُمْ الجنَّةَ، يُقَاتلُون في سَبيل اللَّه فَيَقْتَلون ويُقْتَلون وعدًا عليه حقًّا في التَّورَاة والإنْجيل والقُرآن ومن أَوفَى بعَهْده منَ اللَّه فَاستَبْشرُوا ببَيْعكُم الذي بَايَعْتُمْ به وَ ذَلكَ هُوَ الفَوزُ العظيمُ"[1]

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم: بأن لهم في مقابل ذلك الجنة، وما أعد الله فيها من النعيم لبذلهم نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته وإظهار دينه، فيقْتلون ويُقْتلون، وعدًا عليه حقًا في التوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزلة على عيسى عليهم السلام.

والجهاد لغة: (ج،ه، د(الجيم والهاء والدال أصله المشتقة ثم يُحصل عليه ما يقاربه يقال جَهَدْتُ نفسي وأَجْهَدْتُ.

اصطلاحا: بذل الوسع والطاقة في قتال الكفار عند اللقاء بهم، والذب عن الإسلام، وعن أهله بالنفس والمال والقلب لإعلاء كلمة الله.

أما كون الجهاد مقاتلة أعداء الله فهذا مأخوذ من حديث عمرو بن عبسة قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلامُ؟ قال: أن يُسْلمَ قلْبُكَ للَّه عزَّ وجلَّ وأنْ يَسْلمَ المسلمُونَ منْ لسَانكَ ويَدكَ، قال: فَأَيُّ الإسْلاَم أَفْضَلُ؟ قال: الجهادُ.

قال: وما الْجهَادُ؟ قَلَ: أَنْ تُقَاتلَ الْكُفَّارَ إذَا لَقيتَهُمْ"[2]

والجهاد في النصوص الشرعية عند الإطلاق يراد به هذا المعنى فقال الكفار عند اللقاء بهم.

ويحط الشاعر رحله في نهاية رحلته، محملا بالجهاد في سبيل الله حاملا كل عبارات الحماسية والجياشة التي تؤثر في نفوس الشعب الأندلسي، الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الملوك والأسياد فيقول:

وَأَيْنَ غَرْنَاطَةُ دَارُ الْجِهَادِ وكَـــمْ	أُسْدٍ بِهَا وَهُمْ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانُ
وَأَيْنَ حَمْرَاؤُهَا الْعَلْيَا وَزُخْرُفُـــهَا	كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَـــــانُ
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ يَحْكِي فِي تَسَلْسُلِهِ	سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَمَعَانُ
وَأَيْنَ جَارَتُهَا الزَّهْرَاءُ وقُبَّتُـــــها	وَأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالٌ وفـــــرْسَانُ

[1] سورة التوبة: الآية111

[2] محمد بن عمر سالم بازمول: الجهاد تعريفه وأنواعه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص23

وَكَمْ شُجَاعٍ زَعِيمٍ فِي الْوَغَى بَطَلٍ بَدَا لَهُ فِي الْعِدَى فَتْكٌ وَإِمْعَــانُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَبَيْضَاءُ رَايَتُـــــهُ أَدْرِكْ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ كَانــُوا
وحاملين سيوف الهند مرهقـــــة كأنَّها في ظلام النَّفع نيْـــــرَانُ
يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قُسِّمُوا فِــرَقًا سَطَا عَلَيْهِمْ بِهَا كُفْرٌ وَطُــغْيَانُ
هَلْ لِلْجِهَادِ بِهَا مِنْ طَالِبٍ فَلَقَــدْ تَزَخْرَفَتْ جَنَّةُ المَأْوَى لَهَا شَانُ[1]

– ومازالت روح الجهاد مهيمنة على الأبيات الشعرية السابقة منبعثة من الإصرار والعزيمة على الجهاد والتخلص من المستعمر الذي دمر الأندلس. وعاث فيها فسادا.

– وجاءت الأبيات صرخة روح الأندلسيين في رفع سيوفهم والجهاد في سبيل الله

– ولم يعد أبو البقاء يملك إلا صرخة مدوية، يصل صدها إلى الأفق، صرخة استنجاد واستغاثة.

– يذكرهم برفع راية الإسلام وإعلاء كلمة الله لهم جنة الخلد وذكرهم أيضا بنعيم الجنات وثواب الآخرة.

ذ– صلة الرحم:

فإن من السنن الإلهية المودعة في فطرة الإنسان الارتباط العاطفي بأرحامه وأقاربه، وهي سنّة ثابتة يكاد يتساوى فيها أبناء البشر، من أصحاب الفطّر السليمة.

ولقد جاء الإسلام متوافقا مع هذه الفطرة الإنسانية، فأكد على أهمية صلة الأرحام واعتنى بها عناية لا مثيل لها، يهدف من وراء ذلك إلى بناء مجتمع إسلامي قويّ مترابط، لبناية متماسكة، وبناؤه مُحكم وعلاقات أفراده متينة، مثله كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد، بالسهر والحمى.

صلة الرحم: مركب إضافي من كلمتي (صلة) و (الرحم)، ولبيان حقيقته بهذا الاعتبار يلزمنا بيان مفهوم الصلة على حدة، ثم مفهوم الرحم على النحو الآتي:

الصلة في اللغة: من وصل، وقولنا: وصلت الشيء وصُلاً وصلَة، ووصل إليه وصولاً، أي: بلغ والوصول ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم.

وصلة من الفعل وصل، تدور معانيها حول الجمع والضم، وإيصال الشيء بشيء، أو وصوله إليه.

[1] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس"لأبي البقاء الرندي" ص32، 30

الصلة اصطلاحا: قال المناوي الصلة البرّ على غير جهة التعويض.

وهذا المعنى تظهر مناسبته للمعنى اللغوي، من حيث أن البر لا يكون إلاّ بإيصال شيء مادي أو معنوي لآخر، ويلزم منه حصول الجمع والضم.

والبر على غير جهة التعويض ينافي الهجران والقطيعة والتصارم.

الرحم لغة: الفعل (رحم) من الرّحمة، وهي الرقة والتعطف.

وقد رحمته، وترحمت عليه وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا.

الرحم اصطلاحا:

قال ابن الأثير: وذوو الرحم: هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب.

وعرفها البعض بقولهم الرحم: هو كل قريب ليس بذي فرض ولا عصبة[1]

أما صلة الأرحام وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب، والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن بَعَدُوا أو أساءوا، وقطع الرحم ضد ذلك كله.[2]

صلة الأرحام من أعظم الواجبات التي يقوم بها الإنسان فكل التعريفات تحث على الأرحام وزيارتها والإحسان إلى الأقارب وقطع الأرحام من الكبائر.

أمر الله بصلة الأرحام فقال: "واعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالدِّينِ إِحْسَانًا وبِذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينِ والجَارِ ذِي القُرْبَى والجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْــتَالاً فَخُورًا"[3]

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يوصي بالإحسان إلى الوالدين، وأدُّوا حقوقهما وحقوق الأقربين، واليتامى والمحتاجين والجار القريب والبعيد، والرفيق في السفر وفي الحضر، والمسافر المحتاج والمماليك من فتيانكم وفتياتكم، إن الله تعالى لا يحب المتكبرين من عباده، المفتخرين على الناس.

وقال الله عز وجل: " وءَات ذَا القُرْبَى حَقَّهُ والمِسْكينَ وابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا"[4]

---

[1] محمد محمود أحمد الطرايرة: صلة الأرحام والأحكام الخاصة بها في الفقه الإسلامي، دار البشار الإسلامية، ط1، 1432ه، 2011م، ص17، 16

[2] سعيد بن علي بن وهف القحطاني: صلة الأرحام مفهوم وفضائل وآداب وأحكام في ضوء الكتاب والسنة، ص5

[3] سورة النساء: الآية36

[4] سورة الإسراء: الآية26

صلة الأرحام بركة في العمر، وبسطة في الرزق، ويصل من وصلها وهي من أسباب المحبة بين الأهل والأقارب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول:" من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينشأ له في أثره، فليصل رحمه"[1]

صلة الأرحام من أول الأمور المهمة التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم في أول بعثته.

فقد أشار أبو البقاء الرندي إلى صلة الأرحام في قصيدته فيقول:

وَأَيْنَ بَسْطَةُ دَارُ الزَّعْفَرَانِ فَهَـــلْ رَأَى شَبِيهًا لَهَا فِي الحُسْنِ إِنْسَانُ
كَمْ جَنْدَلَتْ مِنْ كَافِرٍ فغـــــــدَا تَبْكِيهِ مِنْ أَرْضِهِ أَهْلٌ وَوِلْـــدَانُ
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الإِسْلاَمِ بَيْنَكُـــمْ وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ اللهِ إِخْـــــــوَانُ
أَلاَ نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَـــــــمٌ أَمَا عَلَى الخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْـوَانُ
يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٍ بَيْنَهـــــــمَا كَمَا تَفرَّقُ أَرْوَاحٌ وأَبْـــــدَانُ
وأَشْرَفُ الحُورِ والوِلْدَانُ مِنْ غُرَفٍ فَازَتْ لَعَمْرِى بِهَذَا الخَيْرِ شُجْعَانُ[2]

– تكلم الشاعر على صلة الأرحام في هذه الأبيات فهو يتألم حالهم إذ كانوا بنعمة الله إخوانًا والآن أصبحوا أعداء على حافة التشتت والضياع، فصلة الرحم هي اللُّحمة التي تجمع الأفراد وتقوي عضدهم في الدنيا والآخرة.

2–القيم الإنسانية العامة:

إن أبا البقاء الرندي من خلال متونه الشعرية تمعن يحاول معرفة الإنسان بطرق شتى وأساليب متنوعة وفهمه فهما صحيحا كاملا غير باهت أو منقوص.

وسبب هذه العناية وهو إيمانه بخصوصية هذا الإنسان وطبعه وتأثيره وأهمية ما ينشأ عن مواقفه وسلوكه ومجموع إراداته من نتائج وآثار.

ووسيلة أبي بقاء الرندي في هذه المحاولة سعي في الوصف والتصوير والملاحظة والتأمل والاستبطان ومراقبة الشخصية الإنسانية وتقصِّي أحوالها وتتبع أوضاعها في واقعها الحيوي وفي ظل الظروف المختلفة والأوضاع والملابسات المختلفة.

---

[1] البخاري: الأدب المفرد، ص27

[2] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس"لأبي البقاء الرندي" ص32، 31

إن حركة الإنسان في الحياة، عموما، هي سلوك مقصود ومواقف وأفعال ذات دلالات لها نتائجها وآثارها.

ولهذه الحركة بعض القيم الإنسانية الواردة في قصيدة أبي بقاء الرندي بشيء من التوسع والتعمق والتحليل.

أ- حب الوطن:

لطالما تغنى الشعراء بأوطانهم، ولطالما تحدث أهل الفصاحة والبلاغة عن محبتهم لأوطانهم وذلك منذ نشأة الشعر العربي القديم.

يعتبر حب الوطن قيمة أساسية أراد الشاعر أن يبثها إلى القراء، وهذا من خلال قصيدة رثى بها الأندلس رثى المدن والبلدان التي سقطت، اندفع فيها الشاعر مع حماسته الوطنية، فبكى على وضع ديار قومه التي آلت إلى دمن دارسة، ودعا إلى القتال والجهاد وكان لأوصاف الأسرى، والنسوة المسيبات والمغلوبين على أمرهم من المسلمين في القصيدة،ما يدمي القلب لذا نجد العاطفة الجياشة وروح الوطنية غالبة في أبياته الشعرية وهذه من أهم القيم التي استحضرها الشاعر في قصيدته فيقول هنا:

أينَ المُلُوكُ ذَوُو التيجَانِ مِن يمَـنٍ ... وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وتِيجَـــــانُ

وأيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ مِـــــنْ إرَمٍ ... وأَيْنَ ما سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَـــانُ

دَهَى الجزيرَةَ أَمْرٌ لاَ عَـــزَاءَ لَهُ ... هَوَىً لهُ أُحُدُ وانْهَدَّ ثَهْـــــلاَنُ

أصَابتهَا العَيْنُ فِي الإسْـــــلاَمِ ... فارْتُزِئَتْ حَتَّى خَلَتْ منْهُ أَقْطَار وبُلْدَانُ

وأَيْنَ قُرْطُبَةُ دارُ العُلُوم فَكَـــمْ ... مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فيهَا لَهُ شَـــانُ

وأَيْنَ غَرْنَاطة دارُ الْجِهَاد وَكَـــمْ ... أَسْد بِهَا وهُمْ فِي الْحَـــرْب عُقْبَانُ

قَوَاعِدٌ كُنَّ أركَانَ البلاَد فَمَـــا ... عَسَى البَقَاءُ إذَا لَمْ تبْقَ أرْكَـــانُ

والمَاءُ يَجْري بِسَاحَاتِ القُصُورُ بهَا ... قَدْ حَفَّ جَدْوَلُهَا زهْرٌ ورَيْحَـــانُ

وعَالِمٍ كَانَ فِيهَا للْجَهُولِ هُدَى ... مُدَرِّسٌ ولهُ فِي العلْـــــم تَبْيَانُ

حيثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ أَمْسَتْ(صَارَتْ) ... كَنَائِسَ مَا فيهنَّ إلاَّ نَـوَاقيسُ وَصُلْبَانُ

وماشيًا مَرِحًا يُلْهِيه مَوْطنُـــــهُ ... أَبَعْدَ حِمْصٍ تَغُر المَرْءُ أَوْطَـــانُ

ورَا تِعِينَ وَرَاءَ البَحْرِ فِي دَعَـــةٍ ... لَهُمْ بأوْطَانهمْ عِزٌّ وسُلطَـــانُ

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أهْلِ الأَنْدَلُـــــسِ ... فَقَدْ سَرَى بِحَديث القَـــوْمِ رُكْبَانُ

بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ والْيَوْمَ هُمْ فِي بِلاَدِ الكُفْرِ عَبْدَانُ
هَلْ لِلْجِهَادِ مِنْ طَالِبٍ فَلَقَـــــدْ تَزَخْرَفَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لَهَا شَانُ[1]

فهنا الشاعر يبكي على وطنه الذي سقط،وتناثرت مدنه كتناثر حبات العقد الفريد فذكر غرناطة وعلماء وبلاد الأندلس وانهيار مساجدها وقصورها ومكاتبها،فسقوط المكان يهز كيان الإنسان ويعصف باستقراره؛ فالقصيدة توميء بالتلميح أو التصريح بحب الوطن ترمز مجمل أبياتها إلى حب الوطن فالوطن لا يقدر بثمن وحبه واجب وخير دليل على ذلك من واقعنا ثورة نوفمبر المجيدة التي ضحى الشعب الجزائري فيها بمليون ونصف مليون شهيد فيقول الشاعر مفدي زكريا في وطنه الجزائر:

فِدَاءُ الجَزَائِرِ رُوحِي وَمَالِي أَلَا فِي سَبِيلِ الحُــرِّيَةِ
فَلْيَحْيَا حِزْبُ الشَّعْبِ الغَالِي وَلْيَحْيَا نَجْمُ شَمَالِ إِفْرِيقِيَةِ[2]

قيمة حب الوطن لا تقدر بثمن وهنا الشاعر يغرس قيمة الوطن ومرارة الحياة القاسية في بلد الأندلس بعد دمارها، ويسعى من خلال الكلمة إلى تحقيق الحرية واسترجاع كرامة بلاده وشعبه.

فالشاعر حاول من خلال هذه القصيدة غرس قيمة حب الوطن في النفوس وقد وظف كل العبارات الدالة على هذا الحقل الدلالي

ب- جوهر الأفراد:

اهتم الإنسانيون والرومانسيون بالإنسان كقيمة في حد ذاته، فكل فرد يستطيع بجوهره أن يكون قيمة إنسانية متميزة، بمواهبه بجهده بهدى تفوقه، فكل واحد يستطيع أن يضع في نفسه كل القيم التي ترفعه وتسمو به، كما له القدرة على جعلها مصدر انحطاطه فالإنسان تحكمه ظروف معينة اجتماعية وبيئية واقتصادية.

يظهر الإنسان جوهره العميق الطيب الذي هو أجمل ما فيه وإنسانيته، إن جوهر الإنسان العميق يظهر في حريته وإرادته، ويمكن للعدو أن يكبت حريته، لكنه لا يستطيع أن يقتل جوهره الذي هو سر إنسانيته لأن ذلك الجوهر متصل بالله مباشرة فهو نفخه من

[1] عيسى بن محمد الشامي:رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرنددي"، ص، 30-32
[2] محمد بلقاسم خمار: من أناشيدنا الوطنية، متحف المجاهد، الجزائر، 1994، ص17

روح الإله، فأحسن قدوة في جوهر الأفراد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُول اللَّه إسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخر".[1]

فشاعر الأندلس أفصح عن أهم قيمة إنسانية وهي جوهر الأفراد وهي من أعمق القيم الموجودة في قصيدة "رثاء الأندلس" فهو يوجه الكلام بكل ثقة وشجاعة إلى حكام بلاد الأندلس والعدو الخائن الذي دمر مركز الثقافة العربية.

يستهل الشاعر قصيدته بطيب إنسان فيقول:

لكُل شَيءٍ إذا مَا تَمَّ نُقْصَـــــان فَلاَ يَغَرُ بِطِيب العَيْشِ إنْسَـانُ
أَتَى عَلَى الكُلِّ أمرُ لاَ مَـــرَدَّ لَهُ حتى قضُوا فكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا
أينَ المُلُوكُ ذَوُو التِيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَينَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وتِيجَـــــانُ
وأين قُرْطُبَة دارُ العُلُوم فَكَـــــمْ منْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فيهَا لَهُ شَـانُ
وأَيْنَ غَرْنَاطة دارُ الْجِهَادِ وَكَـــمْ أَسْد بها وهُمْ في الْحَرْب عُقْبَانُ
وعَابِدٌ خَاضِعٌ لِلّه مُبْتَهِـــــــلٌ والدَّمْعُ منْهُ على الخَدَّيْن طُوفانُ
وكَمْ بِدَاخِلِهَا مِنْ شَاعِرٍ فَطِـــــنٍ وذي فنون لَهُ حِذْقٌ وتِبْيَـــانُ
وأَيْنَ جَارَتُهَا الزَّهْرَاء وَقُبَّتُهَـــــا وأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالُ وفُرْسَـــانُ
وَكَمْ شُجَاع زَعيم في الوَغَى بَطَلٍ بَدَا لَهُ في الْعؤدَى فَتْكُ وإمْعَانُ
كَم جنْدلتْ يَدُهُ مِنْ كَافِرٍ فَغَـــــدًا تَبْكِيهِ منْ أَرْضِهِ أهْلٌ وولْـدَانُ
كذا المَرِيْهُ دَارُ الصّالحينَ فَكَـــمْ قُطْب بهَا عَلَمٌ بَحْرٌ لَهُ شَـــانُ
يا أيُّها المَلكُ البَيْضَاءُ رايَتُـــــهُ أدَركَ بسَيْفكَ أهْلَ الكُفْر لاَ كَانُوا
ألا نُفُوسُ أَبِيّاتُ لَهَا هِمَـــــــمٌ أمَا عَلَى الخَيْر أَنْصَارٌ وَأَعِوَانُ
يَا من لِذِلَّة قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِـــــمْ أَحَالَ حَالُهُمْ كُفْرٌ وطُـــــغْيَانُ
بالأَمسِ كَانوا مُلُوكًا فِي مَنَازلِهِـمْ واليوم هُمْ في بِلاَدِ الكُفْر عَبْدَانُ
يَقُودُهَا الْعلْجُ للْمَكْرُوه مُكْرَهَـــةٌ وَالْعَيْنُ بَاكيَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْـــرَانُ
يَقُودُهَا علْجَ عنْدَ السَّبْي صَاغِـرَةٌ وَالْعَيْنُ بَاكيَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْـــرَانُ
لمثْل هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ منْ كَمَـدٍ إنْ كَانَ في الْقَلْب إسْلاَمٌ وإيمَانٌ

[1] سورة الأحزاب: الآية21

وَأَشْرَفُ الْحُورُ منْ غُـــــــــرَفٍ فَازَتْ لَعَمْرِى بِهَذَا الخَيْرُ شُجْعَانُ[1]

أعطى الشاعر النظرة السلبية التي يوجهها إلى المستعمر الذي أسقط الأندلس.

ونجد أن أبي البقاء الرندي رافضا للظلم الذي تتعرض له الأندلس لكنه لم يستطع أن يصل بهم إلى نضال بخوضه الإنسان ضد القهر والتخلف والطغيان وضد كل الشرور والفساد والدمار.

فالشاعر يريد من الحكام والشعب تغيير حياتهم فقد أثرت نكبة الأندلس في نفسيته وأراد أن ينقل مرارة إحساسه للقارئ بالوقوف على منبر الواقع المعيشي.

إن سلوك الفرد ترجمة عملية للمبادئ، وإذا صار بين الناس كان الصورة المادية على الأرض للمبادئ الروحية، ويقيم الدنيا من خارجه سلوكا وتحصيلا.

ت-**الكرامة:**

فالكرامة في **اللغة:** مصدر كرم،يقال: كَرُم فلان كرما وكرامة: إذا أعطى بسهولة وجاد، فهو كريم، وكَرُم الرجل كرامة، عزّ، وكرم الشيء عزو النفس.

اصطلاحا: ولها عدة معان تطلق عليها منها:

الإعزاز والتفصيل، والتشريف ، والحسن، والتكريم جعل الشيء المكرم كريما في ذاته، منعما عليه إنعاما بصفة من الصفات، أو مجموع من الصفات فكل شيء شرف في باله فقد كُرِمَ، والتكريم جعل الشيء كريما فعلا، وهذا المعنى، فالكرامة اسم للإكرام وهو إيصال الشيء الكريم أي النفيس إلى المكرم، وكرامة النفس ترفعها وتصونها، والكرامة دون الشيء عزيزا.

والكرم اسم جامع لكل خصال الخير والشرف والفضائل.[2]

وقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ".[3]

ألأي أفضلكم عند الله.

---

[1] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"، ص32-33

[2] أحمد جمعة محمد: الكرامة الإنسانية في التصوير الإسلامي وتطبيقاتها الفقهية، دراسة مقارنة، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، ص، 15.13

[3] سورة الحجرات، الآية:13

تعتبر الكرامة من القيم الإنسانية وجوهر الإنسان ولب بشريته وأس ذاتيته لذا رسخه في الإنسان إحساسه بكرامته، وتعد أصلا من الأصول التي أرسل الله رسله للحفاظ عليهاوإرساء دعائمها، وجعلها حقا للأفراد والشعوب.

الكرامة هي من إحدى القيم الحضارية، والإنسان يعد محورها وقلبها النابض وعمادها فلا سبيل إلى الحضارة والرقي إلا بترسيخ كرامة الإنسان.[1]

فهذه من أهم القيم الإنسانية التي أشار إليها أبي البقاء الرندي في قصيدته المشهورة " رثاء الأندلس" وهي مبثوثة في قصيدة فيقول عن هذه القيمة:

لكل شَيْء إذَا مَا تَمَّ نُقْصـــــــانُ فلا يُغَرْ بِطِيبِ العيْشِ إنْسَـــــــانُ
هي الأُمُور كما شاهَدْتُهَـــا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زمن سَاءَتهُ أَزْمَـــــانُ
أينَ المُلُوكُ ذَوُو التيجان من يمَنٍ وأَيْنَ مِنْهُمْ أَكاليلٌ وتِيجَـــــــانُ
وأين قُرْطُبَة دارُ العُلُوم فَكَـــــمْ منْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَـــا لَهُ شَانُ
وعَالِمٌ كان فيهَا للْجَهُول هُـــدَى مُدَرِّسٌ ولَهُ فِي العلْـــــــم تبْيَان
وَكَمْ بدَاخلهَا منْ شَاعِرٍ فَطِـــنَ وذِي فُنُونٍ لَهُ حـــــــذْقٌ وتبْيَانُ
وَأَيْنَ بَسْطَةُ دَارُ الزَّعْفَرَان فَهَـــلْ رَأَى شَبيْهًا لَهَا في الحُسْنِ إنْسَانُ
وَكَمْ شُجَاعٍ زَعِيْمَ في الوَغَى بَطَلٍ بدَا له في العِدَى فَتْكٌ وَإمْـــعَانُ
وراتِعينَ وَرَاءَ البَحْر في دَعَـــةٍ لهُمْ بأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْـــــطَانُ
يَا مَنْ لِذلَّة قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِـــــمْ أَحَالَ حَالُهُمْ كُفْرٌ وَطُغْيَـــــانُ
بالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهـــمْ واليَوْمَ هُمْ فِي بِلاَدِ الكُفْـــرِ عُبْدَانُ
وَأَشْرَفُ الحُورُ والوِلْدَانُ مِنْ غُرَفٍ فَازَتْ لَعَمْرِى بِهَذا الخَيْرِ شُجْعَانُ[2]

على الرغم من ازدهار الكرامة في منظومة تراثنا إلا أن قيمة الكرامة نمت وتعاظمت في تراثنا الفقهي ونضرب مثالا عن الكرامة من تراثنا العربي القديم الذي أكد على تجذرها التاريخ من خلال حرصه على تقاليد الفروسية وعدم قتل الفارس عندما يقع عن فرسه، سيرة عنترة بن شداد التاريخية أنه نازل البطل " ربيعة بن زيد" وأثناء ذلك كسر سيف ربيعة فما كان من عنترة إلا أن عوضه سيف بدل السيف المكسور، وهنا

[1] ينظر: أحمد جمعة محمد: الكرامة الإنسانية في التصوير الإسلامي وتطبيقاتها الفقهية، ص، 18

[2] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي" ص، 30-32

ترجل ربيعة عن جواده ليشكر عنترة ويقبل رأسه، وتجلى في وصية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الجند المتوجهين إلى قتال العدو: "انْطَلَقُوا باسْمِ اللَّه وبالله وعلَى ملَّة رسول اللَّه، لاَ تقتلوا شيخا فَنيًا، ولاَ طفْلاً، وَلاَ صَغيرًا وَلاَ امْرَأَةً، ولاَ تَغْلُوا، وضُمُوا غنَائمَكُمْ، وَأَصْلحُوا وَأَحْسنوا، إنَّ اللَّه يُحبُ المُحسنينَ"[1]

ويبقى الإسلام هو معلم القيم الإنسانية النبيلة.

ث- التواضع:

من صفات عباد الرحمن التواضع بين الآنام وهو فضيلة كريمة فالتواضع هو كما قال صاحب المختار الصحاح: التواضع التذلل.

وقال ابن منظور: التواضع: التذلل، وتواضع الرجل: ذل أي أن المراد هو أن العبد إذا أراد أن يكون من المتواضعين، أن يذل نفسه الله بالخشوع له، والاستسلام لحكمه، وترك الاعتراض على قضائه.

وقال القرطبي: التواضع: الانكسار والتذلل وهو يقتضي متواضعا له، وهو الله تعالى، ومن أمر الله بالتواضع له كالرسول صلى الله عليه وسلم فهذا التواضع الواجب المحمود.

قال الفضل بن عياض رحمه الله: التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة فهي رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب.[2] وقول الله عز وجل على التواضع في قوله تعالى:"واخْفَضْ جَنَاحَك لمَنْ اتْبَعَكَ منَ المُؤْمنينَ"[3] أي تواضع، وألن جانبك يا محمد صلى الله عليه وسلم لمن كان من أتباعك من المؤمنين.

وقال الله تعالى: " تلْكَ الدَّارُ الآخرَةُ نَجْعَلُهَا للذينَ لاَ يُريدُون عُلُوّا في الأَرْض ولاَ فَسَادًا والعَافيَةُ للْمُتَّقينَ"[4]

التواضع لا يزيد العبد إلا عزّا وأن العفو لا يزيده إلا رفعة فتواضع يرفعك الله.

وكان عروة بن الزبير يقول: عليكم بالتواضع فإنه نعمة عظيمة ولا يحسدكم أحد عليها.[5]

---

[1] برهان رزيق: الكرامة الإنسانية، ص9.

[2] أبو مريم مجدي فتحي السيد: التواضع، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، ط2، 1415ه، 1990م، ص7-9.

[3] سورة الرعد، الأية:215.

[4] سورة القصص، الأية: 83.

[5] أبو مريم مجدي فتحي السيد: التواضع، ص27.

فالتواضع من القيم التي تحدث عليها شاعرنا الأندلسي في قصيدته فيقول على التواضع:

أَيْنَ المُلُوكُ ذوو التيجَان منْ يَمَن وأَيْنَ منْهُـــــم أَكَاليلٌ وتِيجَانُ
كأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يسْهُل لَهُ سَبَبٌ يَوْمًا ولاَ مَلَكَ الدُّنيَا سُلمـــــانُ
وعَالِمٍ كَانَ فيهَا للْجَهُولِ هُــدَى مُدَرِّسٌ ولَهُ في العلْـــــم تبْيَانُ
وأَيْنَ جَارَتُهَا الزَّهراءُ وٌقُبْتُـــــهَا وأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَال وفرســـــَانُ
وَأَيْنَ بَسْطَةُ دَارُ الزَّعْفَرَان فَهَلْ رَأَى شَبيْهًا لَهَا في الحُسْنِ إِنْسَانُ
وَكَمْ شُجَاع زَعيْمَ في الوَغَى بَطَلٍ بدَا لَهُ فِي العِدَى فَتْك وَإِمْعَــانُ
يَا مَنْ لِذِلَّة قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِـــــمْ أَحَالَ حَالُهُمْ كُفرٌ وَطُغْيَـــــانُ
بالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ واليَوْمَ هُمْ فِي بِلاَد الكُفْرِ عُبْدَانُ
وطفْلَةٍ مَا رَأَتهَا الشّمْسُ إِذْ بَرزَتْ كَأَنَّهَا هي يَاقُوتٌ ومَـــــرْجَانُ

وقال الشاعر المعروف بالأديب المختار عن التواضع:

إنّ" التَّوَاضُعَ منْ خصَال المتْقـــي وَبه التُّقي إِلَى المَعَالي يَرْتَقي
ومنَ العَجَائب عُجْبُ من هُوَ جَاهل في حَاله أهو السَّعيد لأم التقي
أَم كيف يُخْمَّ عُمْرُهُ أو رُوحَـــــه يَوم النوى مُتفُل أو مَـــــرْتَقي
والْكبْرِيَاء لربنا صفَةُ بـــــــه مخْصُوصَةٌ فَتَحَيَنَهَا واتقـــي

والنفس المؤمنة إذا ما تشبعت بالمعاني الإسلامية، والأخلاق الفاضلة، فلن تترك خلق التواضع إلى الكبر، وذلك لأن الكبر ينافي تلك المبادئ التي تربى عليها الإنسان المسلم فالمسلم يرفض التكبر لأنه إما أن يكون على العباد أو على الله تبارك وتعالى، وهو في كليهما مذموم[1]

كما جاء في الآيات القرآنية قال الله تعالى: "إِنَّ الذينَ يَتَكَبَّرُون عَنْ عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"[2] وقال أيضا: "إِنَّهُ لاَ يُحِبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ"[3]

[1] الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا: التواضع والخمول دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ص، 9-10

[2] سورة غافر، الآية:20

[3] سور النحل، الآية: 22

ج- الحزن:

من السلوكات الإنسانية التي تتعلق بفطرته من مشاعر وعواطف وانفعالات وأحاسيس وسلوكات والتي تصفو حياة فرد من ملاباساة ومعاناة تلك هي عاطفة الحزن.

كما أن من الحزن ما يكون اختياريا وإراديا يرتبط بالإيمان والعقيدة والفكر.

والحزن هو أحد صور العاطفة والمشاعر الإنسانية الفطرية، وهو ضد الفرح والسرور، فالحزن والفرح موجودان في الإنسان وهما فطريان[1]

كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأَبْكَى﴾[2]

وقال سبحانه عن آدم عندما أنزله من الجنة: ﴿ قُلْنَا اهْبطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]

فبين الله تعالى في هذه الآية أن من يتبع هداه فإنه لا يحزن، ومقتضى ذلك أن الذي لا يتبع هدى الله فإنه يحزن.

فالحزن شيء فطري ينتاب كل البشر عندما تقابلهم متاعب هذه الحياة الدنيا ولا أحد يستثني من ذلك والأمثلة كثيرة في القرآن.

كحزن أم موسى، وحزن الأنبياء، وكحزن يعقوب على يوسف عليهما السلام، وحزن الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه عندما لم يستجيبوا له فقال سبحانه وتعالى:﴿ وَلاَ يَحْزُنْكَ الذينَ يُسَارِعُونَ في الكُفْرِ﴾ [4]

وقال سبحانه وتعالى:﴿ لَعَلَكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَ يَكُونُوا مُؤْمنينَ﴾[5]

فالله سبحانه وتعالى يهدئ من روع النبي صلى الله عليه وسلم ويأمره بألا يحزن فالحزن يحصل لكل إنسان، لكنه قضية وقتية، وإذا ما استمر وطال صار اكتئابا.

والنساء عادة أقل صبرا على المصائب وأكثر تأثرا بها ومن بينهم الخنساء، الشاعرة المشهورة كانت في جاهليتها تنظم البيت أو البيتين من الشعر حتى ترثي أخاها صخرا،

---

[1] عبد الله الخاطر: الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة، ص 16-18

[2] سورة النجم، الآية:42

[3] سورة البقرة، الآية: 38

[4] سورة أل عمران، الآية: 76

[5] سورة الشعراء، الآية :3

فحزنت عليه حزنا شديدا، فكتبت القصائد الطويلة المؤثرة البليغة، تبكي أخاها بقلم الشعر وتذكر مآثره قالت:

تَبْكي خُنَاسُ عَلَى صخْرٍ وحُقَّ لها أَنْ رابها الدهر، إن الدَّهرَ ضرار

وقالت:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وأُبْكِيه لِكُلِّ غُرُوبِ الشَّمْسِ

ولَوْلاَ كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِـــي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِـــي

أي إنه لو لم يوجد أناس مثلي مات إخوانهم وهم يبكونهم فيواسونني لكنت قتلت نفسي من الحزن.[1]

هذه القيمة تحدث عنها الشاعر أبي البقاء الرندي في قصيدته التي قالها في رثاء الأندلس بعدما سقطت في أيدي العدو، وفيها الشاعر تحدث عن بعض المآسي التي حلت بالأندلس وبذلك البلد الجميل الذي بلغت الحضارة فيه أوجه عزها وحزنه كان واضحا في قصيدته. فقال:

فَجَائِعُ الدَّهْر أنوَاعٌ مُنَوَّعَـــــةٌ وللزَّمَان مسَرَّاتٌ وأَحْـــزَانٌ

كم جَنْدَلَتْ يدُهُ منْ كَافر فَعَـــدا تَبْكيه منْ أَرْضه أَهِلٌ وَولْدَانُ

تَبْكي الْحَنيفَيةُ البَيْضَاءُ منْ أَسَفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ

حتّىَ المَحَاريبُ تَبْكي وَهيَ جَامدَةٌ حَتَّى المنابرُ تَرْثِي وهي عيدانُ[2]

هنا يصور حال الإسلام بعد سقوط المعاقل الإسلامية حيث أصبح حزينا فهاهي الحنيفية تبكي من شدة حزنها كما يبكي المحب لفراق إلفه وحبيبه نعم تبكي على هذه المعاقل التي خلت من الإسلام وأقفرت، فصارت الأندلس كلها نصرانية ، عامرة بالكفر وجعلت النواقيس في الصوامع بعد الأذان، وفي مساجدها الصور والصلبان، فحتى الجمادات تأثرت لما حدث فأخذت المحاريب والمآذن تبكي وترثي.

ولَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُم عنْدَ بَيْعهـــمُ هَالَكَ الأَمْرُ واستَهْوتْك أَحْزَانُ

يَا رُبّ أم وطفل حيلَ بَيْنَهُمـــا كَمَا تفـــــرّق أَرْوَاحٌ وأَبْدَانُ

يقُودُهَا العلْجُ للْمَكْرُوه مُكْرَهَةٌ والعَيْـــنُ بَكيَةٌ والقَلْبُ حَيْرَانُ

---

[1] عبد الله الخاطر: الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة، ص، 18-47

[2] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي" ص30-31

لمثْل هَذَا يَذُوبُ القَلْبُ منْ كَمَد إنْ كَانَ في القلب إسْلاَمٌ وإيمَانُ[1]

ثم أخذ الشاعر يتحدث ويذكر حال المسلمين حيث تحولت عزتهم وقوتهم لما شاعت بينهم المنكرات بلا نكير إلى ذل وهوان وانكسار، ساهم إياه النصاري حتى بيع سادة المسلمين آنذاك في أسواق الرقيق وهم وحالوا بين الأم وطفلها وفرقوا بينهما كما تفرق أرواح وأبدان فلو رأيت هذا المنظر وتلك الذلة لراعك الأمر ولأحزنك، فأي كربة وأي شدة مرت على المسلمين فلمثل هذا يذوب القلب من الكمد والحزن.

ح- الذل:

الذل وهو من القيم السلبية التي تحط من قيمة الإنسان، فلما ترك المسلمون مصدر عزتهم وقوتهم ووحدتهم ذلوا وهانوا أمام أعدائهم، وتكالبت عليهم الأمم والتفوا حولهم يمزقون وحدة أرضهم ويتقاسمون ثرواتهم، وأججوا نار الفتن بينهم.

والذل **لغة هو:**

نقيض العز وهذه مقابلة في التضاد صحيحة يقال: ذل يذل ذلاً وذلة ومذلة، فهو ذليل ويجمع الذليل من الناس أذلة.

قال ابن فارس: "الذل واللام في التضعيف والمطابقة أصل واحد يدل على الخضوع والاستكانة واللين".

ويرى ابن منظور أن الذل بمعنى: الرفق والرحمة ويأتي بمعنى الخسة، حيث قال، والذل، الرفق والرحمة[2] وفي التنزيل العزيز: "واخْفضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّل منَ الرَّحْمَة"[3]

والذل: الخسة، وأذله واستذَله كله بمعنى واحد، وتذلل له، أي خضع، وفي أسماء الله تعالى: المذل هو الذي يلحق الذل بمن يشاء من عباده وينفى عنه أنواع العز جميعا.

---

[1] المصدر نفسه، ص31-32

[2] إبراهيم بن أحمد عباس البحري، الذل وآثاره في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، المشرف عبده بن محمد يوسف، تخصص علوم القرآن، ص2

[3] سورة الإسراء:الآية:24

الذل اصطلاحا:

عرفه الراغب الأصفهاني بقوله: الذل ما كان عن قهر يقال: ذل يذل ذلاً، وقول الله تعالى:﴿ واخْفضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّل منَ الرَّحْمَة﴾[1] أي كن كالمقهور لهما وعرف بعض العلماء الذل بأنه الضعف عن المقاومة ونقيضه العز وهو القوة والغلبة"[2]

أن الذل يطلق على ما يقال العزة والغلبة في اللغة والاصطلاح فبينهما تقارب، فالتعريف الاصطلاحي مأخوذ من التعريف اللغوي، فقد يطلق الخضوع والانقياد، كذل العبد لربه، أو على اللين والتواضع، كذل الولد لوالديه.

ومن خلال التعريفات السابقة أيضا يتضح أن الذل نوعان ممدوح كذل المخلوق لخالقه، ومذموم ما كان عن قهر، كذل المخلوق للمخلوق.

ورد لفظ الذل في القرآن على صيغ مختلفة، يجب الوقوف عليها وذلك على النحو الآتي:

وقول الله تعالى:" ولَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ منَ الذُّل وَكَبّرْهُ تَكْبيرًا"[3]

وبصيغة الاسم ذَلَّةٌ منكرة، ومعرفة (الذلَّةُ) منها:

قوله تعالى:" للَّذينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ و لاَ ذلَّةٌ"[4]

وقد ذكر أبو البقاء الذل في قصيدته في مواضع عديدة منها قوله:

فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارى لاَ دَليْلَ لَهُـمْ عَلَيْهِـــمْ منْ ثيَابِ الذُلِّ أَلْوَانُ

ولو رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عنْدَ بَيْعِهِـــمُ لَهَالَكَ الأَمْرُ واسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ[5]

يَا مَنْ لِذلَّةِ قَوْم بَعْدَ عِزِّهِـــمُ أَحَال حَالُهُمُ كُفْرٌ وَطُغْيَـــانُ

بالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا في مَنَازِلِهِمْ واليَوْمَ هُمْ في بِلِاَد الكُفْر عُبْدَانُ

وقف الشاعر من خلاله متنه الشعري على قيمة الذل التي فرضت نفسها لأن المقام التاريخي استدعاها، فالشاعر تحسر على هذه النكبة التي أثرت قيم الذل والهوان في النفوس، وألبست الأندلس بُردة الخنوع والخضوع بعد أن كانت منارة العلم والثقافة وقبلة

---

[1] سورة الإسراء: الآية:24

[2] إبراهيم بن أحمد عباس البحري، الذل وآثاره في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، ص4، 3

[3] سورة الإسراء: الآية:111

[4] سورة يونس: الآية:26

[5] عيسى بن محمد الشامي، رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي، ص32

للطلاب والعلماء، هي الآن تجرّ أذيال الخيبة والانكسار بعد أن سقطت كل معاقل الدولة الإسلامية.

3- القيم الإنسانية الاجتماعية

أ- الأمومة: لقد كرم الإسلام المرأة وجعل لها مرتبة عالية بين خلقه، وماذا لو كانت تلك المرأة هي الأم. التي أسند إليها وظيفة الأمومة، وجليها على المودة والرحمة، وخصها بعناية خاصة. ونهى عن إيذائها. والتعدي عليها.[1] ولو بالكلام الجارح، فنجد في قصيدة رثاء الأندلس لأبي بقاء الرندي، التي يرثي فيها الأندلس. معبرا عن حزنه لما يحدث فيها. وموضحا تعلق وارتباط المسلمين بالأندلس وحبهم لها. والندب على البلدان التي سقطت. والحصون والقرى. محاولا تحريك مشاعر المسلمين داخل الأندلس لاستعادة ما ذهب وضاع. أن الأم تهان وتجرد من وظيفتها التي أوكلها إليها سبحانه وتعالى وهي الأمومة حيث يقول: "أبو البقاء الرندي" في قصيدته:

يَا رُبّ أُم وَطفْل حيْلَ بيْنَهَا كمَا تُفَرقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ

لقد وصف الشاعر في هذه الأبيات كيف ينتزع الطفل [2]من أحضان أمه ويفرق بينهم مصورا أقصى درجات الظلم والطغيان والتفرقة بين الأم ومولودها بحسرة وتأسف وندم على التخاذل الذي شاهده الكاتب.

فالشاعر أراد أن يصور حقيقة ما يحدث في الأندلس وكيف أن المرأة كانت تهان وتذل وتظلم وتقهر دون أن تجد من يساندها ويدافع عنها وهي ألطف وأرق المخلوقات. فكيف لهذه الأم أن تتحمل الابتعاد عن قرة عينها بعد أن حملته وهناً على وهن، أي ضعف على ضعف وشدة على شدة. وكان الشاعر يتحصر على هذا الأمر.

كما ان الشاعر صور لنا من خلال أبياته كيف أن المرأة كانت تتعرض للاغتصاب وترغم على الرذيلة. وهي رمز الشرف والطهر والعفة.تجر وتساق باكية وحزينة إلى الفاحشة. والجميع يرى ويسمع، ويقف مكتوفي الأيدي. يقول أبو البقاء الرندي:

وطفلَةٌ رَأَتْهَا الشَّمْسُ إذَا بَرَزَتْ كَأَنَّمَا هي يَاقُوت ومَـــــرْجَانُ

---

1 ينظر: محمد السيد محمد الزعبلاوي، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، 1419-1998، ص14.13

[2] د. محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص148

لمثل هذَا يَذُوبُ القَلْبُ منْ كَمَدٍ إِنْ كَانَ في القَلْبِ إسْلاَمُ وَإيمَانُ

فقد رسم الرندي لوحة حزينة عن معاناة المرأة سواء المرأة[1] التي كان يسلب منها ولدها ويفرق بينه وبينها. أو الطفلة الغظة الناعمة كالأحجار الكريمة. التي كان يقودها الرجل من أهل العجم إلى المكروه وهي مجبرة وحزينة وحائرة القلب وبهذا يذوب القلب من شدة الحزن على مثل هذه المناظر.

لقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم عناية كبيرة بالأم ونهى أن نفرق بينها وبين ولدها. فقد أمر أن يردوا إلي "الحمرة" ولدها الذي أخذ منها. حيث قال: "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها"[2]

فمن رحمته عليه الصلاة والسلام أن أمر أن يردوا للحمرة ولدها وهي من عالم البهائم. فماذا عن الأم التي تحال عن ولدها ظلمًا وطغيانًا.

ب-الأخوة:

تعد الأخوة من القيم الإنسانية الاجتماعية والتي هي:

" رابطة متينة موثقة تجمع بين طرفين أو أكثر تتصف بالدوام والملازمة وتنشأ بسبب النسب أو الرضاع، أو الدين أو الاشتراك في القبيلة أو الوطن أو المقاصد والأعمال ونحو ذلك من الأسباب."[3]

أي إن الإخاء هو الرابطة التي تجمع بين الطرفين، ولا يشترط أن يكون الإخاء بالنسب أو الرضاعة فقط، بل حتى من خلال الدين الواحد أو القبيلة أو الوطن الواحد.

ثم إن للمسلم على أخيه المسلم حقوقا كثيرة مثل النصرة والتكافل، والتعاون، وأن يرحم المسلم أخاه المسلم ويعطف عليه يحزن لحزنه ويفرح لفرحه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالألم والحمى."[4]

---

[1] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص148

[2] مها عبد الله عمر الأبرش: الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، سلسلة الرسائل العلمية، المملكة العربية السعودية، 1417ه-1996م، الجزء الأول، ص52

[3] إسماعيل علي محمد، الخوة الاسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية، دار الكلمة، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1433ه/2012م، ص9

[4] المرجع نفسه، ص22

غير أن ما شاهده الشاعر وعاينه في الأندلس، عكس الحديث فقد بين من خلال قصيدته كيف كان يستغيث الضعفاء من أهل الأندلس ويطلبون الإعانة والمؤازرة من المسلمين ولكن لا أحد يستجيب ولا أحد يلبي النداء، أسرى وقتلى ولكن لا أحد يحرك ساكنا، لما يحدث لأخيه المسلم من ذل و إهانة وظلم وطغيان، فأبو البقاء الرندي كان يوبخ المسلمين ويسألهم ماذا فعلتم للأندلسيين وانتم إخوة مسلمون يجمعكم دين واحد. بينما أنتم تعيشون في أوطانكم في نعيم وطمأنينة. وإخوانكم في الأندلس يستغيثون ويطلبون النجدة وأنتم تتخاذلون عن نصرة إخوتكم في الدين. يقول:

كم يَسْتَغيثُ بنُو المُسْتَضْعَفينَ وَهُمْ أَسْرَى وَ قَتْلَى فَمَا يَهْتَزُ إنْسَانُ

مَاذَا التَقَاطُعُ فِي الإِسْلاَم بَيْنَهُـــمْ وَأَنْتُـــمْ يَا عبَادَ اللَّه إخْوَانُ؟[1]

4. قيم العلاقات العامة:

الإحساس بالمسؤولية:

المسؤولية: مصدر من ساءل يسائل، فهو مساءل، أي مؤاخذ، والمسؤولية هي المؤاخذة"[2] يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته"[3]

أي إن كل من كان له رقابة ورعاية على غيره فهو مسؤول عنه، ومسؤول عما يصيب هذه الرعية من ظلم وفساد ويتحمل مسؤوليته، فإذا رجعنا إلى قصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي نجد أنه يحمّل المسؤولية للسلطان الذي كان في ذلك العصر محمد بن يوسف (المعروف بابن الأحمر)، فالكاتب لمح إلى أنه يحمّله مسؤولية الاستيلاء على الأندلس والبلدان التي سقطت في عهد السلطان (ابن الأحمر) والقواعد التي استولى عليها المسيحيون كما يحملها للمسلمين في البلدان الأخرى الذين لم يستجيبوا لنداء أهل

[1] محمد رضوان الداية:أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس، ص147.

[2] عبد السلام التونجي: مؤسسة المسؤولية في الشريعة الإسلامية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الطبعة الأولى، 1423ه/ 1994م، ص49.

[3] المرجع نفسه، ص88.

الأندلس فأبيات القصيدة وكلماتها تدين السلطان وتجعله مسؤولاً أمام الله وأمامهم لما عاناه أهل الأندلس من ظلم وحرمان وقتل واسر دون ذكر اسمه.

يقول الشاعر:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ البَيْضــَاءُ رَايَتُهُ أَدْرِكْ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الكُفْرِ كَانُــوا
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الخَيْلِ ضَامِرَةً كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ
وحَامِلِيــن سُيُوفَ الهِنْدِ مُرهَفَةً كَأَنَّهَا فِي ظَلاَمِ النَّقْعِ نِيـــرَانُ
ورَاتِعِينَ وَرَاءَ البَحْرِ فِي دَعَــةٍ لَهُمْ بِأَوطَانِهِمْ عِزٌ وسُلْطَـــانُ
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُـــــسٍ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ القَوْمِ رُكبانُ[1]
كَمْ يَسْتَغِيْثُ بَنُو المُستَضْعَفِينَ وهُمْ أَسْرَى وقَتْلَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْــسَانُ
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الإِسْلاَمِ بَيْنَكُـــمْ وأَنْتُمْ يَا عِبَادَ الله إِخْـــوَانُ؟
ألاَّ نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَـــــمٌ أَمَا عَلَى الخَيْرِ أَنْصَارٌ وأَعْوَانُ[2]

فأبو" البقاء الرندي" يحمل "ابن الأحمر" المسؤولية في تمكن العدو من بسط سلطانه ونفوذه على سائر أراضي المسلمين، وفي تقلص رقعة الدول الإسلامية، فقد هوى جبل أحد، وانهد جبل ثهلان، وسقطت بلنسية ومرسية وشاطبة وجيان وقرطبة وحمص.

كما أن الشاعر حمَّل أمراء المسلمين الذين يمتطون الخيل وهم يحملون سيوف الهند ويعيشون في أوطانهم في عز وسلطان ما يحدث في الأندلس من ظلم وقتل ونهب وذل، وهم يستغيثون ولكن لا أحد يستجيب لنجدتهم وإغاثتهم ودفع الظلم عنهم.فالإسلام قد ضاع وتحولت المساجد إلى كنائس وعلقت النواقيس والصلبان وألغي الأذان. فالمسلم مؤاخذ ومسؤول عن دفع المنكر ودفع الظلم يقول صلى الله عليه وسلم " والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتطرأنه على الحق أطرأ. ولتقصرنه على الحق قصرًا أو ليضربن الله بقلوب بعضهم بعضًا"[3]

فالله سبحانه وتعالى يحمل المؤمن مسؤولية النهي عن المنكر ورفع الظلم، ولو بالكلمة الطيبة وذلك أضعف الإيمان.

---

[1] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص147

[2] المصدر نفسه، ص146

[3] عبد السلام التونجي، مؤسسة المسؤولية في الشريعة الإسلامية، ص89، 88

الفصل الثاني:

القيم الجمالية في قصيدة رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"

1-أسلوب الكاتب ولغته:

1-1-الأسلوب

إن لأسلوب القصيدة دورا كبيرا في إيصال ما تحمله الرسالة من معان لأبناء عصره. وللمسلمين كافة في أي زمان ومكان، فقد جمع الرندي في قصيدته بين الأسلوب الخبري لوصف ما يحدث في الأندلس وسرد الأحداث وإخبارنا بما يحدث فيها

يقول الشاعر:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصـــَانُ فَلاَ يَغُرُّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وهَذِهِ الدَّارُ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ولاَ يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا بَنَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وخُرْصَانُ[1]

فمطلع القصيدة تناول حكمة خالدة وهي أن كل شيء نهايته الزوال والفناء، وذلك بهدف تجهيز المتلقي لما سيخبره به في الأبيات القادمة من القصيدة من سرد الأحداث، وأخبار الفقد (فقد المدن، والأشخاص)،

أي إن الرندي وظف الأسلوب الخبري لسرد الأحداث أولا، ولإخبارنا ثانيًا بشعوره وإحساسه تجاه هذه المأساة من استعباد واستباحة الأنفس، وهدم وتخريب الديار يقول الشاعر:

وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ ومَرْجَـــــانُ
يَقُودُهَا العِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْـــــــرَهَةٌ والْعَيْنُ بَاكِيَةٌ والْقَلْبُ حَيْـــرَانُ
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ القَلْبُ مِـــــــنْ كَمَدٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلاَمُ وَإِيمَانُ[2]

فالشاعر أراد من خلال استخدامه الأسلوب الخبري إخبارنا بشعور الحزن الذي يسيطر عليه ويعصر أنياط قلبه،وذلك لاستثارة همم المسلمين وتحريك ضميرهم، وبث روح الانفعال فيهم لعل وعسى تتحرك مضغة القلب السليمة وينتفض العقل ويستيقظ الضمير الإسلامي والإنساني.

---

[1] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص143.

[2] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص148.

بينما وظف الأسلوب الإنشائي للوم والعتاب والسخرية والتوبيخ والتعجب والتحسر والفخر يقول الشاعر:

أَيْنَ المُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَـــــــانُ؟
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادٌ فِـــــي إِرَمٍ؟ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ؟
وأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وشَدَّادٌ وقَحْطَـــــــانُ؟[1]

الصورة الفنية: إذن هي الوسيلة الفاعلة التي توصلنا إلى إدراك تجربة الشاعر والوعاء الذي يستوعب تلك التجربة عن طريق السمو، فالصورة تنمو داخل الشاعر مع النص الشعري ذاته، وليست شكلا منفصلا، وعليه فإن قوة الشعر، تتمثل في الإيحاء عن طريق الصور الشعرية لا في التصريح بالأفكار مجردة ولا المبالغة في وصفها.[2]

أ. الكناية:

لغة: " ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره وهي مصدر كنيت، أو كنوت بكذا، إذا تركت التصريح به."[3]

اصطلاحا: " لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة مع إرادته"[4]

أي إن الكناية ان يتكلم الإنسان بشيء والمراد به غيره، فهي من ألطف أساليب البلاغة وأدقها فهي أدق وأبلغ من الحقيقة، حتى أنه قد لا يخلو اي عمل شعري منها، فقد وظفها أبو البقاء الرندي في أبياته كقوله:

يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الخَيلِ ضَامِرَةً كَأَنّها فَي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ[5]

وهي كناية عن رشاقة وقوة الخيل ومهارتها في القتال، وكناية عن حسن نذوبها.

وفي قوله:

يَا حَامِلِينَ سُيُوفَ الهِندِ مُرهَفَةً كَأَنّهَا فِي ظَلاَمِ النَّقعِ نِيرَانُ[6]

---

[1] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص144

[2] دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ص60

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، (د.ط) ، ص345

[4] المرجع نفسه، ص345

[5] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص147

[6] المصدر نفسه، ص 147.

وهي كناية عن حنكتهم وفهمهم ووعيهم وحسن تدريبهم على تلك السيوف، ومهارتهم في التحكم فيها فلهم تجارب وفي هذا كناية عن تاريخهم البطولي الذي حفظه الشعر العربي القديم لعمرو بن كلثوم خير دليل على الشجاعة والبسالة العربية.

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعَجَلَ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّـــــرُكَ الْيَقِينَا

بِأَنَّ نُورِد الرَّايَات بِيضًا وَنُصَدِرُهُنَّ حمْرَاً قَدْ رَوِينَا

وفي قوله:

كَمْ يَسْتَغِيثُ بَنُو المُسْتَضْعَفِينَ وَهُمْ قَتْلَى وَأَسْرِى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ؟[1]

وهي كناية عن اللامبالاة من طرف العرب المسلمين الذين لم تتحرك مشاعرهم أو تستيقظ ضمائرهم.

وفي قوله:

تِلْكَ المُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا ومَا لَهَا مِنْ طُولِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ[2]

وهي كناية عن قوة المصيبة وأثرها في نفس الكاتب. واستفحالها عليه طول الدهر دون نسيان المصيبة وشدة وقعها على النفس.

وفي قوله:

هِيَ الأَيَّامُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ[3]

وهي كناية على عدم دوام الحال وثباته على وتيرة واحدة. فالحياة متغيرة ومتقلبة ومستمرة ودائمة على هذا التقلب.

وفي قوله:

فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لاَ دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِ أَلْوَانُ[4]

وهي كناية على الذل وانقيادهم وإتباعهم لغيرهم.

ب. الاستعارة:

ومن هنا نسلط الضوء على الاستعارات الموجودة في النص الشعري ودلالاتها الجمالية استخدم الشاعر الاستعارة المكنية في قوله:

---

[1] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص147

[2] المصدر نفسه، ص 147.

[3] المصدر نفسه، ص 147.

[4] المصدر نفسه، ص148

يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وخُرْصَانُ[1]

استعارة مكنية شخصت الدهر وجعلت القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، إذ صورت المنظر للعين ونقلت الصورة للأذن وجعلت الأمر المعنوي ملموسا محسا.

ولا شك فإن للاستعارة المكنية هنا أثرا كبيرا في نقل المشهد على السامع والوصول به إلى الغرض لما لها من قدرة فائقة على التصوير الخيالي، ونقله في صورة محسوسة شاهدها المتلقي فتحركت نفسه وانفعلت معها.

واختياره لفظة (يمزق، على غيرها من المرادفات لمرية في المفردة اللغوية لا توجد في مثيلاتها فقد مزقهم الدهر وشردهم، وقطع دابرهم، وفرقهم في أنحاء البلاد مبددي الشمل وأزال وعادوا أحاديث يرويها الرواة، وكأنه اقتبس المعنى من قوله تعالى: " فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ"[2]

وفي قوله استعارة مكنية:

دَارُ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ وأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَـــةٌ وِلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ[3]

شبه الزمان والدهر بالإنسان الذي يغدر ويتقلب على صاحبه.

ويرجع سر إيثار الشاعر لها لأنها تحمل المتلقي على التخيل لأنها تبرز صورة جديدة غير ما ألفها وتعودت عليه ذائقته الجمالية وتلك الروعة ما تضمنته الاستعارة من تشبيه فميزتها أن فيها ابتكارا وخيالاً رائعًا ومتعة مع بروز المعنى في صورته المجسدة.

وكان عبد القاهر على حق حين قال عن الاستعارة: ومن خصائصها التي تذكر بها، أنها عنوان ما قبلهاّ، أنها تعطيك كثيرا من المعاني بالتسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعها من الثمر، وإذا تأملت أقسام الصيغة التي يكون بها الكلام في حد البلاغة ومعها يستحق وصف البراعة، وحدتها وروضا هي زهرها.

---

[1] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"، ص29.

[2] سورة سبأ: الآية19.

[3] المصدر السابق، ص30.

ولروعة الاستعارة المكنية عقد لها قدامة بن جعفر في كتابه "نقد النثر" بابًا تحدث فيه عن الحاجة إليها في كلام العرب ومفهومها عنده، كما تحدث عن الاستعارة المكنية، وإن لم يسمها الاسم الذي عرفت به فيما بعد وفي ذلك يقول قدامة ابن جعفر "... وربما استعاروا بعض ذلك في موضوع بعض على التوسع والمجاز"[1]

ويعتبر البلاغيون هذا النوع من أجمل الصور البيانية لما فيه من التشخيص والتجسيد وبث الحياة والحركة في الجمادات وتصوير المعنويات في صورة محسة حية.

وفي قوله على سبيل الاستعارة المكنية:

دَهَى الجَزِيرَةُ أَمْرٌ لاَ عَزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَ انْهَدَّ ثَهْلاَنُ

حيث شبه الأندلس بإنسان تساقطت وهوت عليه المصائب ويرفض قبول العزاء وكذلك في قوله:

أَصَابَتْهَا العَيْنُ فِي الإِسْلاَمِ فَارْتُزِئَتْ حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وبُلْدَانُ

فقد جعل الأندلس كالرجال الذي يحسد، كما يلجأ الشاعر إلى الاستعارة المكنية أيضا في قوله:

تَبْكِي الحَنِيفِيَة البَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ

حَتَّى المَحَارِيبُ تَبْكِي وهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى المَنَابِرُ تُرْثِي وهِيَ عِيدَانُ[2]

حيث شبه بكاء المسلمين على فراق هذه البلاد،ببكاء المحب لفراق حبيبته وكذلك المحاريب والمنابر على سبيل المبالغة، وإلا فكيف تبكي الجمادات وهذا من روعة الأسلوب وبراعة التصوير وجودة السبك.

تلحظ من خلال هذه الأبيات أن شيوع أسلوب الاستعارة، قد تغيا من ورائه الشاعر تصوير أحاسيسه ومشاعره المتهيجة أمام ما يجري في ديار الإسلام في الأندلس.

ومن الصورة الفنية الأخرى:

ت.**الطباق:** هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى أو مختلفين وقد يكونان اسمي أو فعلين أو حرفين وهذا التقابل في المعنى ولاختلاف الكلام طرافة وحسن[3] وهو نوعين:

---

[1] قدامة ابن جعفر، نقد النثر، تحقيق عبد الحميد العيادي، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1400ه/1980م، ص64.

[2] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"، ص31، 30

[3] أحمد الهاشمي، جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص365، 366

طباق السلب: وهو أن يجمع بين فعلين،من مصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي.

طباق الإيجاب: وهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد.[1]

وقد وظفه "الرندي"في قصيدته للتعبير عما يحدث في الأندلس وتوضيح فكرة انقلاب الزمن وعدم ثباته على حال واحد، وكيف أن الأشياء تظل عرضة للنقصان مهما اكتملت يقول:

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

التمام ≠ النقصان، سره ≠ ساءته

طباق الإيجاب

ويقول الشاعر في السياق نفسه:

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ وللِزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ[2]

مسرات ≠ أحزان

طباق الإيجاب.

ويقول أيضا في طباق الإيجاب:

عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلاَمِ خَالِيَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْ ولَهَا بِالْكُفْرِ عَمْرَانُ[3]

الإسلام ≠ الكفر

ويقول:

يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِـــــمْ أَحَالَ حَالُهُمْ كُفْرق وَطُغْيَـــــانُ

بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ والَيَوْمَ هُمْ فِي بِلاَدِ الكُفْرِ عَبْدَانُ[4]

الذل ≠ العز، ملوكا ≠ عبدان

الأمس ≠ اليوم، منازلهم ≠ بلاد الكفر

نجد هذه الأبيات تعج بطباق الإيجاب، وهي عبارة عن ثنائيات اعتمد عليها الرندي للتعبير عن جوهر قضيته فالكلمات (تم، التمام، تسره، مسرات، الإسلام، العز منازلهم،

[1] أحمد الهاشمي، جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص394

[2] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص145، 143

[3] المصدر نفسه، ص140

[4] المصدر نفسه، ص148

ملوك) هي مفردات تمثل حال الأندلس والأندلسيين قبل سقوطها بينما الكلمات الأخرى (النقصان، ساءه، الأحزان، الكفر،الذل، بلاد الكفر، عبدان) هي مفردات تمثل حال الأندلس بعد سقوطها وتهاوي مدنها، فجعل الإسلام والأندلس في كفة والكفر والزمن في كفة أخرى، وكان الشاعر بهدف عملية مقارنة بين ما كان وما هو كائن، وبين الماضي والحاضر فقد وظف الرندي بما يخدم سياق القصيدة العام.

وواضح شيوع الجناس الناقص في الفكرة بين فيقول:

وأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدّادٌ مِنْ إِرَمٍ وأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ[1]

(شاده، شدَّاد)، ساسه، ساسان

جناس ناقص

يقول الشاعر:

أَيْنَ المُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وتِيجَانُ

وصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ ومِنْ مَلِكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وسْنَانُ[2]

وميزته أنه ذو وقع شجي، وتأثير قوي في استمالة النفوس وتنشيط الأذهان، وإنصات الأذان وبخاصة أنه جاء عفوًا دون قصد.

عند التأمل في هذه القصيدة نجد أنها مليئة بأساليب المبالغة للتدليل على هول الفاجعة التي حلت بالمسلمين بسقوط الأندلس في أيدي الصليبيين الإسبان، فاسأل بلنسية سؤالا ليس على حقيقته إذ وجه السؤال لغير العاقل على سبيل المبالغة والتهويل، ولبيان ما حل بهذه المدن بعد سقوطها ومعلوم أن المبالغة من الأساليب التي ترسم المعاني في صور مجازية تجسد المعنى.

المنوال في أسلوب الاستفهام التعجبي التحسري قد اكتسب لذته الجمالية من عمق التأثير الذاتي والروحي للنفس.

شيوع أسلوب الاستفهام في قوله:

وأَيْنَ المُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانث

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً مَا شَأْنُ مُرْسَيَـــــةٍ وأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَـــــــيَّانُ

[1] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"، ص29

[2] المصدر نفسه، ص30، 29

وأَيْنَ قُرْطُبَةٌ دَارُ العُلُومِ فَكَـــمْ مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لـــهُ شانُ
وأَيْنَ حِمْصٌ ومَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ ونَهْرُهَا العَــذْبُ فيَّاضٌ وَمَلآنُ
وأَيْنَ غَرْنَاطَةُ دَارُ الجِهَادِ وَكَــمْ أَسْدٍ بِهَا وهُمْ فِي الحَرْبِ عُقْبَانُ[1]

يتحسر الشاعر في هذه الأبيات ويتعجب ويأسف على ضياع هذه البلاد وعلى حالها وهو استفهام لاستعظام أمر ظاهر الميزة خافي السبب يراد به المبالغة في إظهار التعجب والتحسر والألم مما يحدث وهذا الاستفهام التعجبي أشاع جمالية على جسد النص الشعري

قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ البِلاَدِ فَمَا عَسَى البَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ؟[2]

فالاستفهام فيه إنكاري غرضه الإنكار على المخاطب أو توبيخه وتبكيته.

فالرندي أراد من خلال الاستفهام الافتخار بتلك المدن والتحسر على سقوطه وضياع مزاياها واندثار معالمها..

وهو المنبر البلاغي الذي اعتلاه الشاعر ليفضح صنيع العدو فيها.

ولم تنحصر الأساليب الإنشائية في الاستفهام فقط، بل نجد الأمر والنداء ومن أمثلة الأمر قوله:

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً مَا شَأْنُ مُرْسَيَةٍ وأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ[3]

ومن أمثلة النداء التي تفيد طلب الاستغاثة والنجدة يقول:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ البَيْضَاءُ رَايَتُــهُ أَدْرِكْ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ لاَ كَانُوا
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الخَيْلِ ضَامِرَةً كَأَنَّهَا فِي مَجَــالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ[4]

فقصيدة "رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي امتزج فيها الأسلوب الخبري مع الأسلوب الإنشائي وفي تضافرها يستقيم القول الشعري بلاغيا.

2-اللغة:

نعرف أن اللغة ظاهرة اجتماعية، ووسيلة التفاهم بين البشر يكتسبها الإنسان من المحيط الذي يتواجد فيه، ولا علاقة لها بالمظاهر العرقية، والفرد يندمج في المجتمع

[1] عيسى بن محمد الشامي، رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي، ص30، 29
[2] محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص146، 145
[3] المصدر نفسه، ص145
[4] المصدر نفسه، ، ص147

بواسطتها وهي نظام من الإشارات تعبر عن أفكار والكلام هو الوجه الفردي من النشاط اللغوي.[1]

لغة: اللغة مادتها (ل غ ا)، تقول لغا:اللغو واللغا: السقط وما لا يعتد به من كلام غيره ولا يحصل منه على فائدة ولا على نفع التهذيب.

أما اللغو واللغا واللغوي ما كان من الكلام غير معقود عليه.

ولغو ولغا ولغوي هو الشيء الذي لا يعتد به، قال الأزهري واللغة من الأسماء الناقصة وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم.[2]

اصطلاحا: يعرفها ابن جني فيقول: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

ونجد كذلك ابن سنان الخفاجي يقول:" اللغة عبارة عما يتواضع القوم عليه من كلام، أو يكون توقيفا".

ويعرفها ابن خلدون فيقول: أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكه متقررة في العضو الفاعل وهو اللسان وهو في كل أمة حسب اصطلاحهم.[3]

إن البحث في البناء وكذا التشكيل اللغوي لقصائد أبي البقاء الرندي ذو أهمية كبيرة، وله أثر عظيم في تبيان الحقائق الجوهرية لتجربته الشعرية، بل بالإمكان أن تتخذ كل جزئية من جزئيات ذلك في شكل بحث مطول مستقل، فكما أن شعره ذو ميزة بيانية وأخرى إيقاعية.

– لعبت اللغة دورًا مهمًا في توصيل رسالة الشاعر المبدع، فجاءت لغة مفهومة واضحة لا تحتاج معجمًا ولا تشكل غموضًا، أو إجهادًا على ذهن القارئ، مفعمة بالعاطفة الجياشة التي تؤثر في وجدان المتلقي.

– جاءت لغة الشاعر سهلة المأخذ، وعذبة اللفظ ونجد الشاعر مقتدرا على الملاءمة بين البحور والأغراض التي يعالجها.

---

[1] صالح بلعيد: في قضاية فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص23

[2] ابن منظور جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر بيروت وط، 1997، المجلد 3، حرف اللام مادة (لغا)، ص308، 307

[3] السيد أحمد عبد الغفار: التصوير اللغوي عند علماء أصول الفقه دار المعرفة الجامعية، 2003، ص32

– استخدم الشاعر الصيغة اللفظية وضروب البديع التي لونت شعره، ولكنها لم تنتقص من أصالة شاعريته ولا كانت حاجزًا أمام المعنى، ولعل الشاعر استفاد من البديع في التلوين الصوتي، والتزيين اللفظي دون أن يضمر مضمونه أو يعتل معناه.

– أعجب بعنصر التشبيه وأكثر منه إكثارا ونجده يوظف التشبيه بجميع ضروبه كقوله:

ونَهْرُهَا العَذْبُ يَحْكِي فِي تَسَلْسُلِهِ سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الجَوِّ لَمَعَانُ

تَبْكِي الحَنِيفِيَةُ البَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ[1]

وكان لزاما أن يخلع الرُّندي ثوب الشاعر بألفاظه وتعبيراته ومعانيه، ليرتدي ثوب الرسام المبدع ممسكًا ريشته ليرسم الأحداث التي مرت بالأندلس، متسائلاً تارةً، ومخبرًا تارةً أخرى.

ويبقى صدق الحال لسانه الناطق وترجماته الصادق، فالشاعر توسل بهذه الضروب البديعية حتى يجسد الصورة الواقعية ويرسمها في ذهن المتلقي بواسطة الكلمة ناطقة نابضة بأوضاعهم وأحوالهم فهو لا يبتغي تكلفًا ولا تصنعًا لغويا بقدر ما يهدف إلى إيصال صرخة أهل الأندلس وفضح صنيع الأعداء في البلدان والأعراض.

ونعود إلى نص القصيدة لنحلل الجملة الفنية عند أبي البقاء الرندي ومن خلال ذلك يتسنى لنا الكشف عن إحدى الوسائل اللغوية التي اعتمد عليها الشاعر في هندسة خطابه الشعري:

–**الجملة الفعلية:** تطغى على القصيدة ظاهرة الجملة الفعلية لاسيما المستقلة عن الاسم منها رغم طبيعة القصيدة التي تتطلب طغيان الفعل عليها، ذلك لأنها تعج بالحركة وأسبابها من صراع وقتال ومطالبة بالجهاد، ودمار وخراب،والسعي الحثيث لاسترجاع الأرض المسلوبة، إلا أن ذلك لم يكن سببا في إضفاء الهدوء والسكون على هذا الخطاب الشعري،الذي يعرف نوعا من الارتداد والاسترجاع لزمن المجد ثم الوقوف عند آلية الوصف التي تصور بدقة تفاصيل المشهد المأساوي الذي آلت إليه الأندلس، وما صارت عليه البلاد والعباد بعد أن عاث فيها الأعداء فسادًا. ويعرف الفعل بكونه حدث مقرون بالزمن، وفي هذا الخطاب الشعري نعثر على الدلالة للأفعال الواردة فيها، تحرج على

[1] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"، ص31.

كونها دالة على أزمنة من الحدث، وذلك يمكن تفسيره اعتماد الشاعر على نتيجة الأفعال، ويقول الشاعر في هذا السياق:

وهَذِهِ الدَّارُ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ولاَ يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
وعَالَمُ الكَوْنِ لا تَبَقَّى مَحَاسِنُهُ ولاَ يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهُ شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وخُرْصَانُ[1]

وهنا نجد أن البقاء موكول إلى الفعلين تبقى ويدوم في دلالتهما النافية (لا يبقى) (لا يدوم) كما أن تكرارهما عزز معنى القصيدة وخدم سياقها في رسم معالم الفناء وتقلب الأحوال وهو الناموس الذي حكم مصير الإنسان وقدّره الله سبحانه وتعالى على كل ماهو موجود.

فيضاف إلى ذلك فعلي نبت ويمزق في دلالة تعمق إيقاع فعل الدمار والخراب في هذا المتن الشعري.

والمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ القُصُورِ بِهَا قَدْ حَفَّ جَدْوَلُهَا زَهْرٌ ورَيْحَـانُ
ونَهْرُهَا العَذْبُ يَحْكِي فِي تَسَلْسُلِـهِ سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فؤي الجَوِّ لَمَعَانُ[2]

فالشاعر لم يركز على فعل القتال عندما ذكر السيف، وإنما كان مبتغاه إبراز التاريخ البطولي للعرب فلسيوف هند حضور في الشعر العربي القديم من خلال معلقة عمرو بن كلثوم.

أ- الجملة الاسمية: لم تأخذ الجملة الاسمية الحظ الوافر في قصيدة الرندي إلا فيما يتطلبه السياق الشعري كما في قول الشاعر:

أَيْنَ المُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وتِيجَـــــانُ
وأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادٌ مِـــــنْ إِرَمٍ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ[3]

فهنا يسائل الشاعر مستنكرا أين الملوك الذين كانوا يحكمون البلاد والعباد ويحظون بالجاه والمال.

[1] عيسى بن محمد الشامي:" رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي، ص29+9+

[2] المصدر نفسه، ص30

[3] المصدر نفسه، ص30

أين الملوك الذين سادوا وملكوا عزًّا ومجدًا. فكل شيء لا محالة آيل للفناء والزوال.

وفي مواقف شعرية يمزج الشاعر بين التناقضين الفجائع والمسرات فيقول:

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ وللزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وأَحْزَانُ[1]

وكأن الحالين متلازمين وهذا من سنن الكون أن الأفراح والأحزان تتبادلان الأمكنة والأزمنة وهو حال الزمان في الأندلس فأبو البقاء الرندي يعرض أسماء تاريخية قديمة يرمز بها إلى القوة والملك والجاه وفي المقابل يركز على اندثارها وأفول نجمعها.

وأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادٌ مِـــنْ إِرَمٍ وأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسْ سَاسَانُ

وأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِـنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وشَدَّادٌ وقَحْـــــــطَانُ

وصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ ومِنْ مَلِكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وسْنَانُ[2]

وما نخلص إليه من خلال تتبع اللغة الشعرية في القصيدة " رثاء الأندلس" أنها كانت لغة منتقاة بصبر وثبات، ومزخرفة صوتا وصورة بأقصى ما تصفيه اللغة من إيقاع موسيقى فوراء ذلك التصوير الذي قام به أبي البقاء في قصيدته ما يفجر إمكانيات اللغة ويساعد على الخلق والإبداع وروعة الإتقان ووضوح البيان.

[1] عيسى بن محمد الشامي: رثاء الأندلس "لأبي البقاء الرندي"، ص30

[2] المصدر نفسه، ص29-30

خـــــــاتمة

من المعهود في البحث العلمي أن تأتي النتائج موازية لما بذل من جهد فهي حصاده الهشيم وقد أدرجت هذه النتائج على النحو الآتي:

- يعرف الباحثون القيمة بأنها هي المحرك الذي يتحكم في سلوك الفرد.
- لقد تأثر الرندي بغرض الرثاء مثلما تأثر به أبناء عصره بهدف تصوير نكبة الأندلس والدعوة إلى الجهاد والتحريض على المقاومة والصمود والوقوف في وجه العدو والمطالبة بالحرية.
- استطاع الشاعر أبي البقاء الرندي أن يوظف مجموعة من القيم الدينية في قصيدته أهمها: التدين، الفناء، التقوى.
- لقد شادت القيم الدينية بكثرة وفرضت نفسها على مساحة القصيدة وهذا يعود إلى النزعة الدينية التي بثها الإسلام في النفوس بالإضافة إلى الطابع المحافظ الذي يلف المجتمع الإسلامي.
- تجسد لنا في قصيدته القيم الإنسانية التي رمى من ورائها إلى إصلاح المجتمع من آفاته، كما دعا إلى ترسيخ المبادئ التي من شأنها أن توحد الإنسانية.
- وهذه القيم الإنسانية التي يشير إليها أبي البقاء الرندي هي قريبة إلى نفوسنا غير بعيدة عن شعورنا تستجيب دعاءها النَّدي ونتسمع هتافها القويّ الصَّادر من أعماقها.
- القيم أخرى ذات أهمية وبال أشار إليها وهي قيمة الأمومة والأخوة التي يقف عندها، في قصيدته مشيرًا إليها متغنيًا بها ومبرزًا آثارها وثمارها.
- ولقد عرض إلى قيمة الأمومة ورسم ملامحها وبين قيمتها ودورها في نسيج المجتمع.
- كان استعمال الشاعر لقيمة المسؤولية واضحًا في قصيدته ويحمّل الحكام الأندلسيين مسؤولية سقوط الأندلس وتشتت أهلها وذلتهم.
- لعب الأسلوب دورًا كبيرًا في إيصال ما تحمله القصيدة من معاني، فالأسلوب يعكس شخصية صاحبه وفكره ورؤاه.
- زاوج الرندي في قصيدته بين الأسلوب الخبري الإنشائي بما يتواءم وطبيعة الأفكار المبثوثة في القصيدة، فالخبري منه يصف ويقرّ بحال الأندلس، ويفصح عن مشاعر الشاعر المتأسية والمكلومة في موطنها، والإنشائي باستفهامه وأمره في أغراضه

البلاغية بين التحسر، والتهكم، والسخرية وكلها مجتمعة ترسم النمط الأسلوبي الذي تنطق به القصيدة.

- يعرف العلماء والشعراء اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية تستقي من الواقع وتعبر عنه كما هو شأن مرتية الأندلس بمعجمها اللغوي الذي يتمحور حول الحزن والأسى والظلم والاستعباد والاستبداد.
- أما على صعيد اللغة فقد كانت القصيدة تعكس الثروة اللغوية الهائلة التي يتمتع بها الشاعر تقضي غلى ثقافته المعجمية وموارده السوية التي صقل بها قوله وحافظته.
- ولغة القصيدة بين هذا وذلك يعتوها بعض الغموض الذي يحتاج إلى إعمال الفكر للوصول إلى مبتغى الشاعر فالشعر كلام الانفعال المصور وهو قريب المأخذ بعيد المرمى.فالقصيدة صورة حية عن مشاعر متضاربة وواقع مر.
- ألم البحث في الملحق بصورة تاريخية عن حياة الشاعر أبي البقاء الرندي وهذا من خلال ترجمة لحياته وبذلك أخذنا صورة واضحة عن شخصيته وعن عصره وعوامل تشكيل إبداعه الفني والشعري.

ملحق

ملحق: أبو البقاء الرندي (سيرة من حياته)

1-حياته:

أ. نسبه: هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النفزي، يكنى أبو الطيب الرندي،[1]وقد ذكر بعض المؤرخين أن كنيته أبو البقاء،[2] ولد في محرم سنة 601ه سبتمبر1204م، وتوفي سنة 684ه الموافق لسنة1285م، أي إنه عاش قرابة اثنين وثمانين عاما عاصر فيها أوائل إمارة محمد الثاني لقرطبة.

وكان من خاصة المقربين إليه، وكان يطرب لشعره، ومن أشهر قصائده في مدح السلطان قصيدة مطلعها:

سَرى والحب أمر لا يرَامُ وقد ةأغرى به الشؤون والغرامُ

وكتب الرندي برسم السلطان كتابا سماه "روض الأندلس ونزهة النفس"[3] ومن لقبه نعرف أنه من رندة وهي مدينة قديمة على قمة جبل مرتفع بها آثار كثير، ويشقها نهر ينسب إليها وتحيط بها الوديان من كل جانب.[4]

وقد اختلفت كنية الرندي، ففي كتاب الوافي، وكتاب أزهار الرياض يكنى بأبي الطيب، وكناه صاحب الذخيرة السيئة بأبي محمد وكناه المقري بأبي البقاء، وأغلب الظن أنه اشتهر بكنيتين هما (أبو الطيب أبو البقاء) ولم يتوصل أحد من المترجمين له إلى معرفة تاريخ ميلاده أو وفاته.

كما لم يهتدوا إلى تحديد العصر الذي عاش فيه تحديدا دقيقا.[5]

يمكن أن نقول إن الرندي كان محور اهتمام عديد من الشعراء والمترجمين فكانت حياته محط اختلاف بينهم، وهو ما أثرى جوانبها وسلّط الضوء على خفاياها.

---

[1] لسان الدين بن الحطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1395ه/1985م، ص360، مج3

[2] أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفخ طيب من غض الأندلسي الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت1408ه/1988، مج4، ص486

[3] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1417ه/1997م، ص457

[4] الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط3، دار المعارف بالقاهرة1987م، ص283

[5] فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدني الطباعة والنشر، ط1 الاسكندرية، ص293، 292

توفي أبي البقاء الرندي في عام أربعة وثمانين وستمائة.[1]تلقى أبو البقاء في أوائل أيامه أوليات العلم، من قراءة وخط وحفظلبعض أجزاء القرآن على يد والده أبي الحسن، علةى العادة التي درج عليها أهل الأندلس في ذلك الوقت.

أ. شيوخه:

أبو الحسن اللخمي الإشبيلي المعروف بالدباج: ولد سنة 556ه، توفي سنة 646ه في آخر حصار لإشبيليا، وكان من دعائه ألا يخرج عنها فكانت قبل استيلاء العدو عليها بتسعة أيام.

محمد بن عبد الرحمان ابن الفخار: أصله من حصن أركش ولما استولى عليها العدو رحل إلى الجزيرة الخضراء يتعلم ويعلم، ثم إلى غرناطة فأخذ عن علمائها ثم استوطن في مالقه وتصدر للإقراء بها وفيها تلقى أبو البقاء العلم على يديه، توفي سنة723ه.

أبو الحسن بن زرقون: ولد سنة536ه في إشبيليا وكتن من مفاخرها وتولى القضاء في عدة مدنها كان من أحسن الناس خلقا وأجملهم إشارة وأشهدهم تواضعا، توفي سنة 621ه درس عليه أبو البقاء قصيدة ابن عبدون في رثاء ابن الأفطس.[2]

ب. شعره:

له شعر كثير سهل المأخذ عذب اللفظ، قال ابن عبد الملك:" كان خاتمة الأدباء بالأندلس بارع التصرف في منظم الكلام ومنثوره." [3]

وأورد له ابن الخطيب جملة من شعره تبلغ الستة والعشرون مابين قصائد ومقطوعات أقلها في بيتين وأطولها في ستة وأربعين بيتا. ومدح السلطانيات.[4]

وقد طرق الرندييباب المدح أكثر من غيره، فكان الشعر وسيلة لكسب الأمراء والملوك وقد عاش الرندي الفترة التي قامت فيها مملكة غرناطة فقاموا بضم رندة إلى مملكة بني الأحمر، فقويت علاقته بهذه المملكة من خلال مدحه لها ولمولكها، وهذا ما أكده ابن الخطيب في قوله بأن " الرندي" كان كثير التردد إلى غرناطة.

---

[1] أبو البقاء الرندي، رثاء الأندلس، دار كنوز، الأندلس، ص29

[2] الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص292

[3] المرجع نفسه، ص297

[4] لسان دين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ص460

أما مذهبه الشعري فيمكن القول إنه يمثل التيار البديعي في هذا العصر فالنماذج التي بقيت من شعره تشير إلى انجذابه واهتمامه بضروب الضعة والتفنن التي غدت سمة من سمات الشعر في أواخر عصر الموحدين فهو تارة يبني قصيدة من قصائده على ضرب من ضروب البديع.[1]

لقد عالج الرندي عدة موضوعات، فكان شعره حافلا بالغزل والمدح والوصف من أجل الوصول إلى غايته وخاصة في وصف الممالك والأمراء.[2]

ت.آثاره:

تنوعت أعمال أبي البقاء الرندي من شعر وأدب وفقه وحديث وغير ذلك، وكان له زاد كبير في الشعر ومن آثاره:

1-الوافر في نظم القوافي: وهو كتاب تحدث فيه عن الشعر وطبقات الشعراء.

2- شرح حديث جبريل مفقود[3]

3-روض الأنس ونزهة النفس ألفه أبو البقاء برسم السلطان محمد بن يوسف بن الأحمر، وأورد ابن الخطيب فقرة منه في الإحاطة وكانت ردا على رسالة مداعبة بعث بها إلى مواطنة أبي بكر البرذعي يصف فيه جارية رآها بسوق الرقيق يصفها وصفا حسيا يتناول مافتنه من جمالها وكيف أنها استولت على لبه.[4]

4-فقد كانت مشاركات أبي البقاء الرندي قليلة في القضاء والفرائض والتأليف.

---

[1] فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، مج3، ص292، 305.

[2] فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص305، 303.

[3] المرجع نفسه، ص472

[4] الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص 294.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

أولا المصادر:

1. عيسى ابن محمد الشامين ى" رثاء الأندلس" لأبي البقاء الرندي
2. محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مكتبة سعد الدين، بيروت، الطبعة الأولى، 1396ه/1976م.

ثانيا المراجع والكتب:

1. أحمد ابن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق حسان عباس، دار صدر بيروت، لبنان،ه1408/1988م،ج4.
2. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، هنداوي، (د.ط)
3. إسماعيل علي محمد، الأخوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية،/ دار الكلمة، مصر، القاهرة، الطبعة2، 1433ه/2012م.
4. عبد الباي محمد داود، الفناء عند صوفية المسلمين والعقائد الأخرى. دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، شعبان 1418ه- يناير1998م.
5. برهان زريق، الكرامة الإنسانية، الطبعة الأولى،2016م.
6. أبو البقاء الرندي، رثاء الأندلس، دار الكنوز الأندلس.
7. أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، دار الكتاب الحديث، الجزائر، الطبعة الأولى.
8. الحافظ أبي بكر عبد الله ابن محمد ابن العتيد أبي الدينار، التواضع والحمول، دار الاعتصام، القاهرة، مصر.
9. دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، دار نهضة، مصر للطباعة، القاهرة.
10. الحجاج، شرح عبد الملك ابن قريب الأصمعي، دار الشرق العربي، 1416ه/ 1995م.
11. الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

12. عبد السلام التونجي، المؤسسة المسؤولية في الشريعة الإسلامية،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط1423،1ه/1994م.
13. سعيد ابن علي ابن وهف القحطاني، صلة الرحم مفهوم وفضائل وآداب وأحكام في ضوء الكتاب والسنة.
14. عبد السلام محمد هارون، كتاب سيبويه أبي البشير عمر ابن عثمان ابن قنبر، دار الرافعي للرياض، السعودية، ط2، 1982م.
15. السيد أحمد عبد الغفار، التصوير اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية،2003م.
16. صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
17. صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،1986م.
18. الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب وتاريخ الفلسفة، الطبعة3، دار المعارف بالقاهرة مصر،1987م.
19. علي ابن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، التحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
20. فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء للدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية.
21. قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق د عبد الحميد العيادي، دار العلمية، بيروت، لبنان،1400ه/1950م.
22. لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان،ط1، مكتبة الخناجي بالقاهرة، 1395ه/1985م.
23. عبد الله الخاطر، الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة.
24. عبد الله ابن سليم القريشي، التعاون وأثره في التغير، دار القاسم.
25. عبد الله ابن المبارك، الجهاد، دار المطبوعات الحديثة السعودية.
26. محمد بلقاسم خمار، من أناشيدنا الوطنية، متحف المجاهد، الجزائر،1994م.

27. محمد السيد الزغلاوي، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة6، 1419ه/1998م.
28. محمد بن عمر ابن إسلام بزمول، الجهاد تعريفه وأنواعه وظوابطه في ضوء الكتاب والسنة.
29. محمد كمال حته، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف، القاهرة.
30. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: أدب الكتاب، دار الكتاب العلمية، الطبعة الأولى بيروت لبنان،1408ه/1988م.
31. محمد عبد الله عنان، الدولة الإسلامية في الأندلس،ط4، مكتبة الخناجي، بالقاهرة، 1417ه/1997م.
32. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية،ط1418،4ه/1997م.
33. أبو مريم مجدي فتحي السيد، التواضع، دار الصحابة للتراث بطنطة للنشر والتحقيق والتوزيع، الطبعة1415،2ه/1990م.
34. ابن منظور جمال الدين ابن مكرم، لسان العرب، دار الصادر بيروت،ط1997،1، المجلد3.
35. مها عبد الله عمر الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، سلسلة الرسائل العلمية، المملكة العربية السعودية، 1417ه/ 1996م،الجزء الأول.
36. نادية محمود مصطفى، القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار النشر للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة 1، 2011.

ثالثا المعاجم:

- معجم اللغة العربية، معجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1423ه/2014م.

رابعا الرسائل الجامعية:

1. إبراهيم ابن أحمد عباس البحري، الذل وآثاره في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية، تخصص علوم القرآن.

2. أحمد جمعة محمد، الكرامة الإنسانية في التصوير الإسلامي والتطبيقات الفقهية دراسات مقارنة، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ.
3. أفوز محمود المرسي، خطاب الرحمة في القرآن الكريم، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية.

خامسا المجلات والدوريات:

أحلام عتيق مغلي السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العلمية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد(3)، العدد (2)، 2014 يناير.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الآية	
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ
المدخل: ماهية القيمة وأبعادها الفنية في المتن الشعري	
1) ماهية اللغة:	05
2) القيم الجديدة في عصر أبي البقاء الرندي	07
الفصل الأول: القيم الإنسانية في قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي	
1- **القيم الدينية**	11
أ. التدين	11
ب. الفناء	13
ت. التقوى	15
ث. الرحمة	16
ج. الصبر	18
ح. الحرية	19
خ. التعاون	20
د. الجهاد	22
ذ. صلة الرحم	24
2- **القيم الإنسانية العامة**	26
أ. حب الوطن	27
ب. جوهر الأفراد	28
ت. الكرامة	30
ث. التواضع	32
ج. الحزن	33
ح. الذل	36

3- القيم الإنسانية الاجتماعية	38
أ. الأمومة	38
ب.الأخوة	39
4- القيم العلاقات العامة	40
أ. الإحساس بالمسؤولية	40
الفصل الثاني: القيم الجمالية في قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي	
1-أسلوب الكاتب ولغته	43
أ. الأسلوب	43
أ. اللغة	50
خاتمة	56
ملحق	59
قائمة المصادر والمراجع	63

تلخيص:

لقد أخذ الرندي من خلال هذه القصيدة رثاء الأندلس. دور الحكيم تارة وتارة أخرى لبس ثوب الواعظ الناصح الراشد، الداعي إلى التماسك ونبذ التقاطع والتخاصم.

يهدف الرندي من خلال قصيدته إلى أخذ العبرة مما يحدث في الأندلس حتى لا يتكرر ذلك في بقاع أخرى من أراضي المسلمين موظفاً القيم الدينية والقيم الإنسانية ليتمكن من التأثير.

فرسم صور الحزن والضعف والعبودية والذل والإهانة التي يتعرض لها أهل الأندلس بعد أن كانوا ملوكًا في أرضهم.

كل هذا قدمه للقارئ في قالب من جيد الكلام، وحسن القول، وجودة السبك وقوة التأثير ومتين الشعر. يتألق فيها الإخلاص للقضية الأندلسية وعمق المأساة الإنسانية.

Récapitulation

Al Randi a repris à travers ce poème la complainte de l'Andalousie. Le rôle du sage, tantôt et tantôt, il revêt l'habit d'un prédicateur adulte, qui appelle à la cohésion et renonce aux croisements et aux querelles.

À travers son poème, Al Randi vise à tirer une leçon de ce qui se passe en Andalousie afin qu'il ne se répète pas dans d'autres parties des terres musulmanes, en utilisant des valeurs religieuses et humaines pour pouvoir influencer.

Il a peint des images de tristesse, de faiblesse, d'esclavage, d'humiliation et d'humiliation que les Andalous ont subis après avoir été rois sur leur terre.

Tout cela, il l'a présenté au lecteur sous la forme d'un bon discours, d'un bon discours, d'un bon casting, d'une forte influence et d'une forte poésie. Le dévouement à la cause andalouse et la profondeur de la tragédie humaine transparaissent.